ملعون أبو الواقع

كلام تاني في الحب والإخوان والمخابرات

ملعون أبو الواقع

كلام تاني في الحب والإخوان والمخابرات

السيد الحرّاني

تصميم الغلاف:

رقم الإيداع: 2017/26498

I.S.B.N:978- 977-6640-14-6

الطبعة الأولى 2018م



الإدارة: 17 ش عزت باشا المطرية، القاهرة.

المدير العام: آية سعد الدين

مدير النشر : د. رامي عبد الباقي

نائب المدير : رامي غزالة

شؤون إدارية : رقية عبد الله

هاتف: 01099387500 - 01147633268

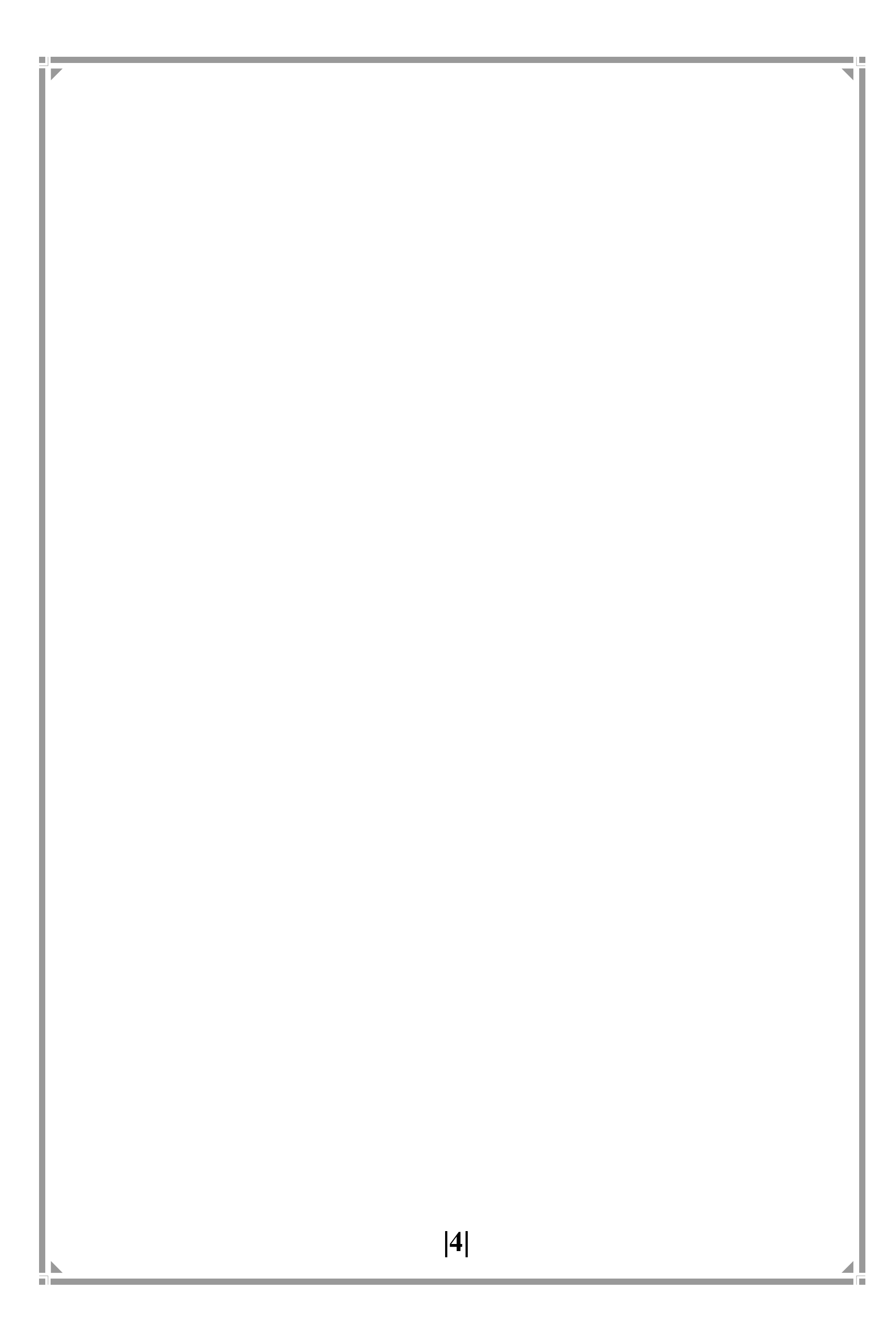
E – mail:zeinpublish2017@gmail.com
Facebook: Zein Publish

السيد الحرّاني

ملعون أبو الواقع

كلام تاني في الحب والإخوان والمخابرات

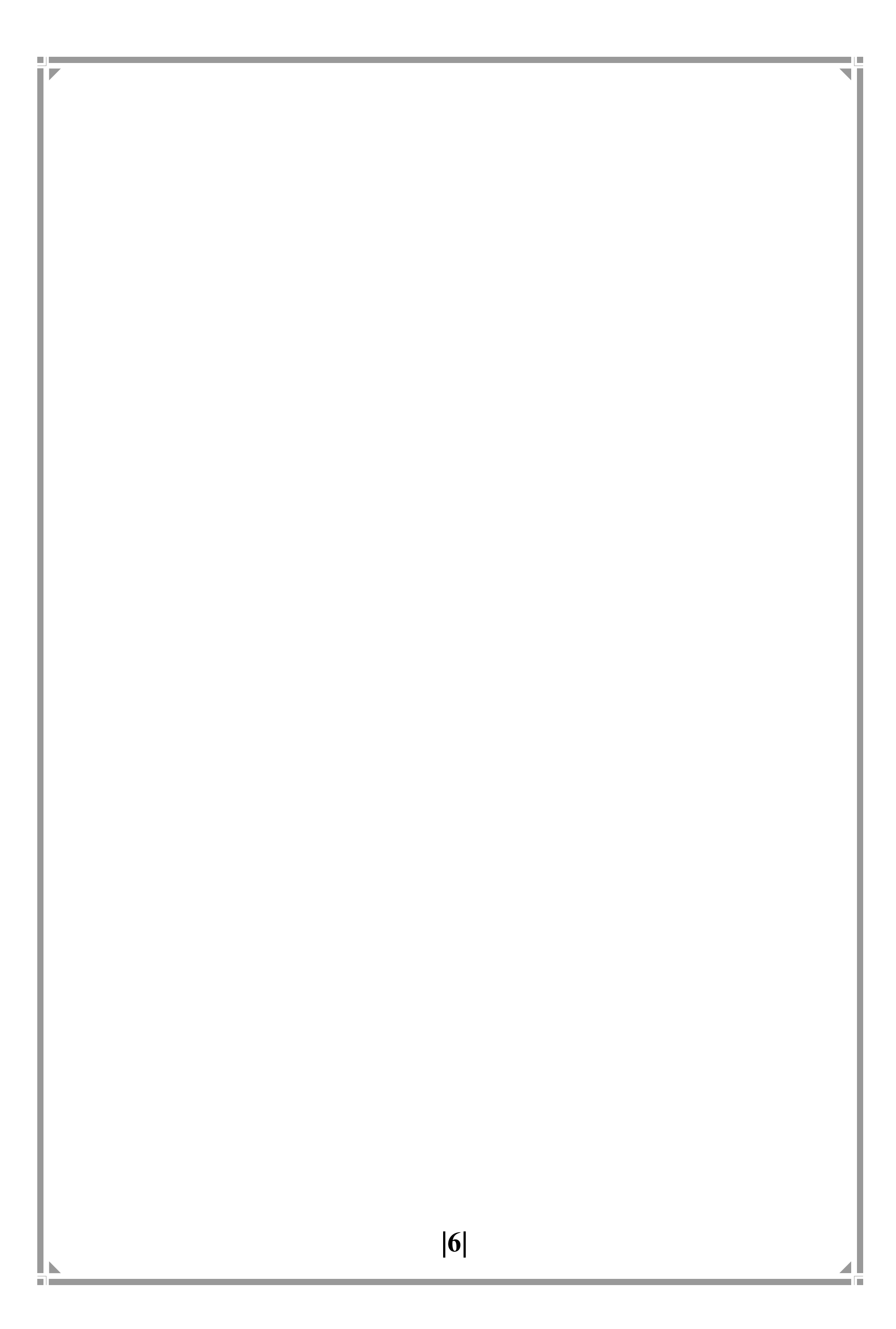




الإهداء

إلى تلك العابرة التي جمعتني بها ظروف وفرقتني عنها ظروف.

الحرّاني



المقدمة

ملعون أبوالواقع

تختلط المشاعر؛ الدموع والآهات بالفرحة والسرور كل هذه التعابير أصبحت متداخلة ومتشابكة في تلك الأيام الصعبة التي نعيشها جميعاً داخل الدولة المصرية، وللأسف الشديد أصبحت الدولة تتعامل مع الواقع اليومي المرير الذي يمر به الشعب المصري بنفس المنطق الذي كانت تتعامل به دولة ما قبل ثورتي 25 يناير و30 يونيو، ما جعل الكثيرين يرددون جملة يائسة وبائسة: «ملعون أبو الواقع».

والسبب لأنه لم يتغير شيء، فالكل عاد إلى طبيعته؛ «مبارك» وأبناؤه خارج السجن، وشباب الثوار بداخله، ورموز نظام «مبارك» يفرون من خلف القضبان واحداً تلو الآخر بأحكام قضائية «متخرش الميّه»، أصبح الشعب المصري هو المدان وهو الآثم وهو الذي حضر الجن والشيطان وهو الوحيد المطالب بأن يصرفه، كل ذلك لأنه استخدم عقله وحطم قضبانه التي ظل حبيسها لسنوات طويلة، وثار في وجه «مبارك» ونظامه الذي طغى وبغى كثيراً جداً.

حتى إن ما آلت إليه الأمور في مصر بعد ثورة يناير وسقوطها في براثن الإرهاب الإخواني كان لا بد أن يكون دليلاً قوياً يحاكم به «مبارك» ونظامه لأنه: هو الذي سمح لهذا الفصيل الإرهابي

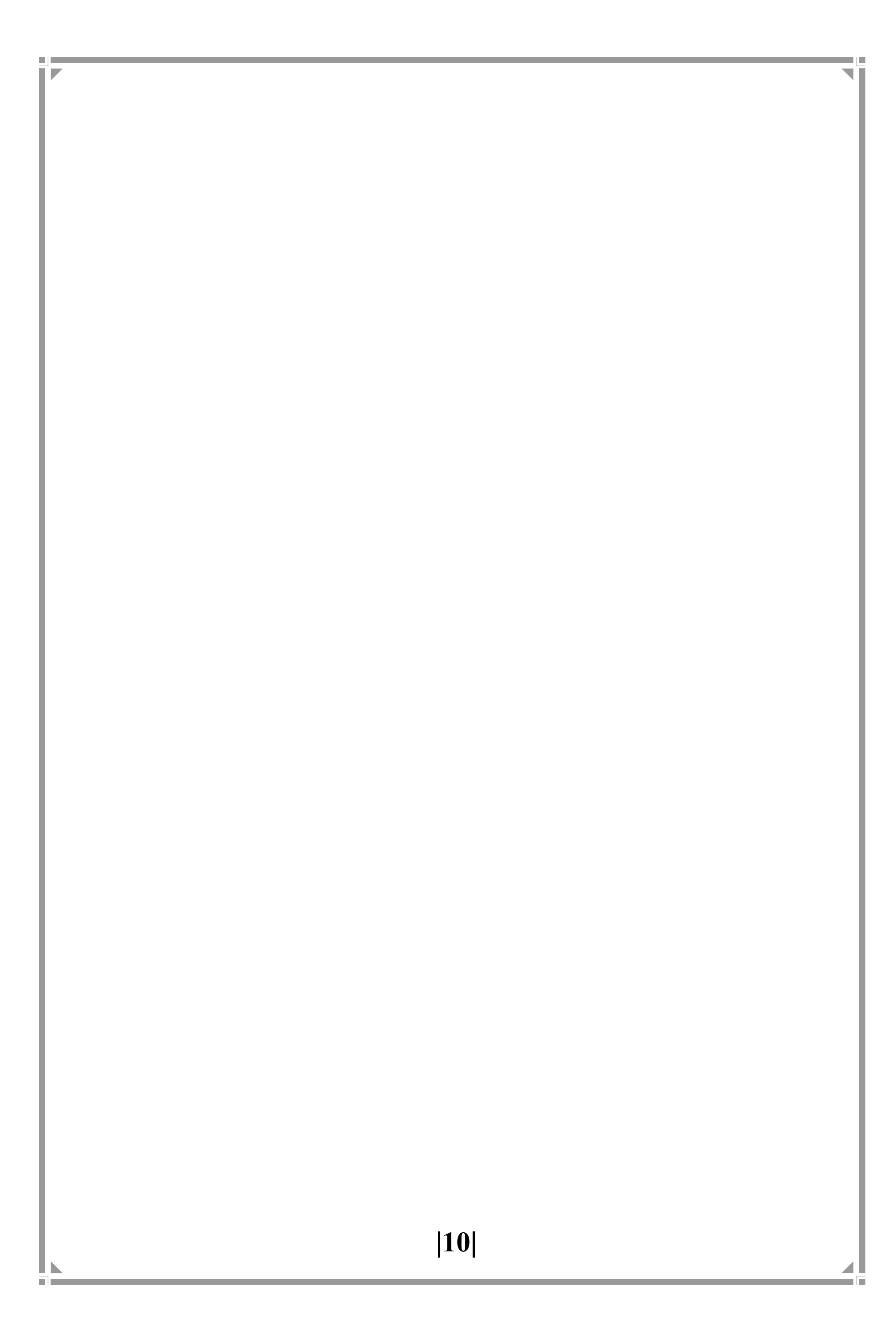
بالوجود والانتشار في الحياة السياسية والاجتماعية المصرية، «مبارك» كان دائماً يحارب بالإخوان «المحظورة» القوى السياسية والأحزاب «الشرعية»؛ فيترك لهم ملعب الأقاليم والنجوع والكفور ليكون لهم فيها قواعد وجمهور، كان الإخوان لا يتوانون عن توجيه ذلك الجمهور لانتخاب أعضاء الحزب الوطنى إذا طلبت منهم الحكومة ذلك، كل ذلك كان يفعله «مبارك» ونظامه من أجل شيء واحد فقط وهو تعجيز القوى الحزبية التي تهدد جلوس «مبارك» على كرسي الحكم.

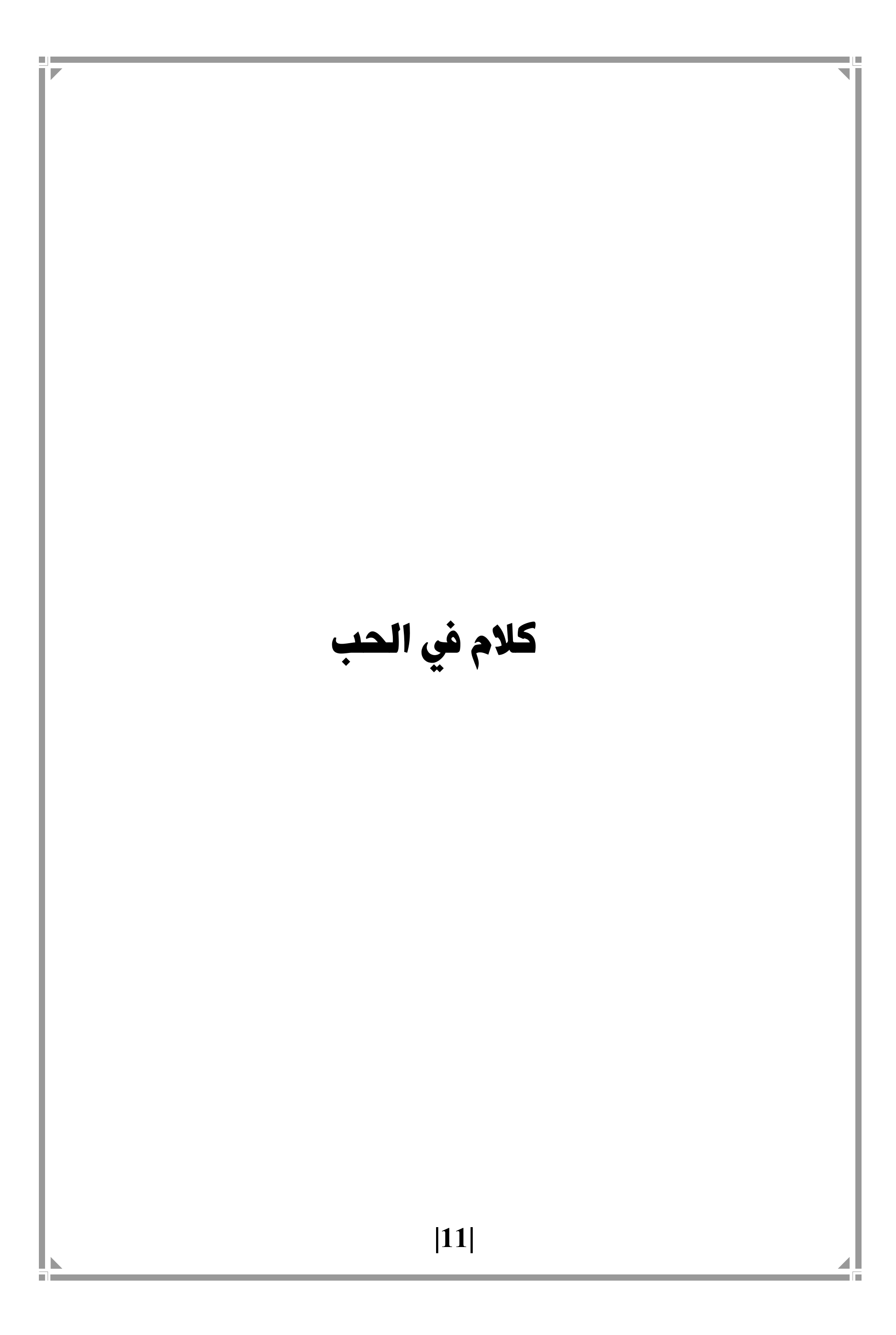
ولذلك إذا نظر إلى جريمة مباشرة ارتكبها «مبارك» ونظامه «كأن يقتل شخصاً بيديه» فهذا لم يحدث، ولكن إذا نظر إلى القتل الضمني؛ بأن يهيئ الساحة من أجل أن تسيطر عليها جماعة أو تيار يتسبب في قتل الأبرياء، فيجب أن يعاقب بالإعدام على الجرم الذي ارتكبه فى حق الشعب المصري. ذكرت كل ما سبق لأنه يجب على الدولة في نظام رئاسي جاء بعد ثورتين: أن تعي جيداً الدرس، وألا تمارس نفس الطقوس وتلعب بنفس الأدوات التي سبق واعتمدها نظام سقط وأقل ما يقال عنه أنه: «خلع»، والحقيقة يجب أن يعلم الرئيس السيسي أن ميدان التحرير ليس بعيداً، «ومن يقصده لن يتوه» وأن الشعب الذي ثار ثم استكان ثم سانده ثائراً مرة أخرى ليس بعيداً عنه أن يثور عليه مرة ثالثة. إذا ظلت شلة المنتفعين هي التي تسيطر في ظل معاناة يعيشها الشعب المصري، لقد أصبحنا شعباً يأكل التراب.

الرئيس السيسي يتعرض لضغوط شديدة من أجل أن تقف الدولة المصرية على قدميها؛ هذا صحيح ولكن في ظل هذه الضغوط والمحاولات «الواجبة عليه لأنه جاء ليفعلها»، يجب أن يضع في حساباته المواطن الفقير الذي لا يحتاج إلا إلى قوت يومه، ومن هنا أقول للرئيس السيسي: «سيدي الرئيس أنت تحكم شعباً الأكثرية منه لا يأكل إلا طبق الفول، وقرص الطعمية، والجبن القريش والعدس، وما شابه ذلك، ولا يتناول اللحوم إلا فيما ندر، أنت تحكم شعباً قانعاً وكل ما يتطلع إليه أن يجد قوت يومه، أنت لا تحكم شعباً يطالبك بتوفير الدعم للكافيار وأكل المحار.

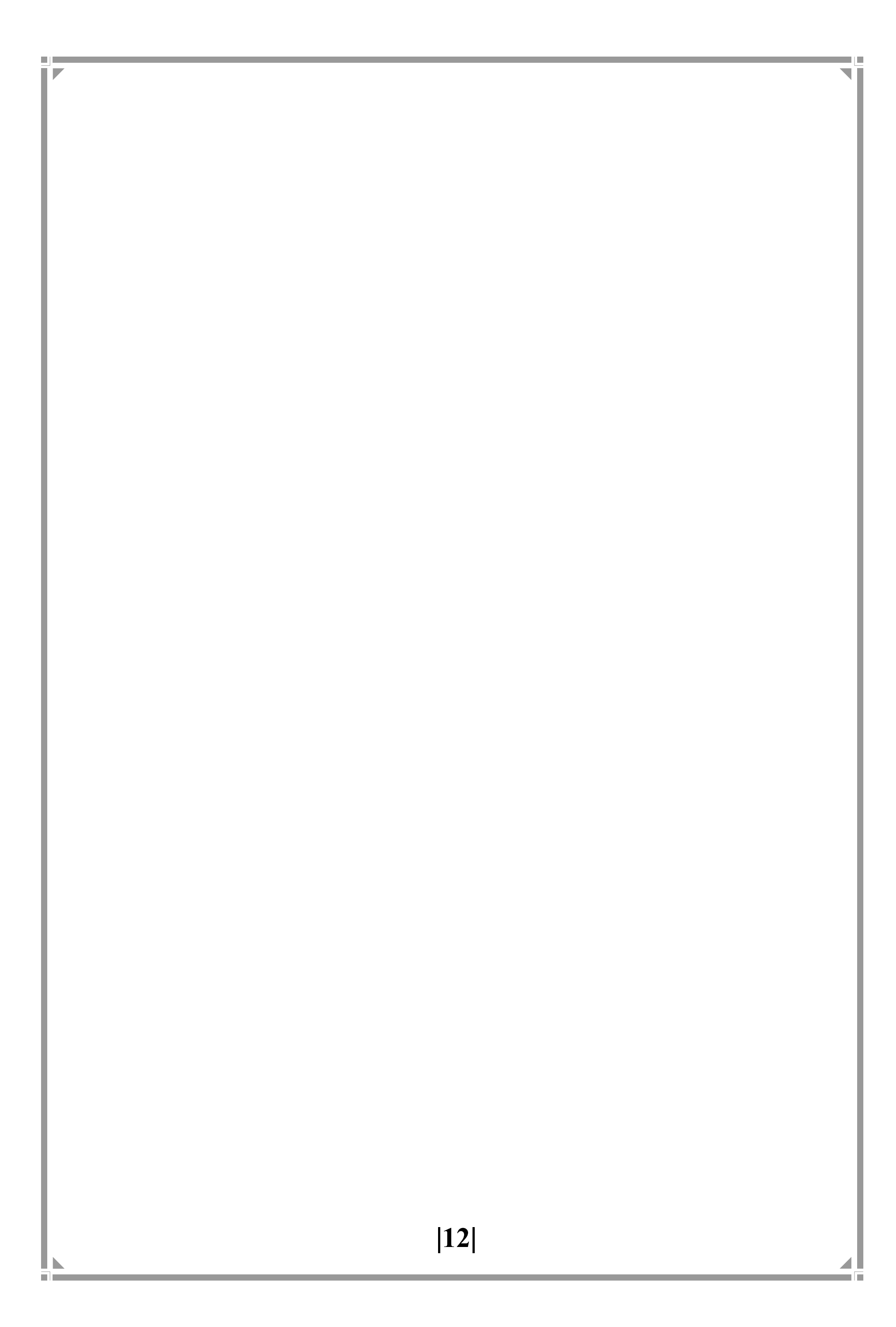
سيدي الرئيس يجب أن تستغل صفات شعبك لصالحك، ويجب أن توقف مذبحة الأسعار التي لا تطول إلا رقاب الغلابة والفقراء، وأنت تعلم «أن الفقراء تبنى على أكتافهم الأوطان» فهم الذين يقدمون أرواحهم فداءً لها في المحن الحقيقية «الأزمات والحروب»، في حين تطير شلة المنتفعين وأبناؤهم ومن هم على شاكلتهم إلى لندن وباريس وأمريكا وسويسرا للاستمتاع بثرواتهم التي تكون في انتظارهم.

السيد الحرّاني





كلام في الحب



أدناه ما ترى

«أدناه ما ترى».. عبارة القطب الصوفي الكبير «الحلاج» وهو مصلوب قبل أن يُقتَل مجيباً على أحد تلاميذه؛ الذي لم يرتضِ مفارقة شيخه قبل أن يوقف حيرته، ويهدي سبيله ويجيب له - ولنا جميعاً- على السؤال الأبدي: «ما هو الحب؟»، استدعت ذاكرتي السؤال والإجابة، لأنني حقاً مصلوب في طيفها منذ لقائها. قابلتها مرة واحدة فقط، أو مرات عدة، يا ربي لا أعلم كم من المرات التقينا، ربما السبب أن معظم لقاءاتنا إلكترونية عبر «الفيس بوك».

لكن الذي أعرفه جيداً أنني شاهدتها «هند» التي افتتن بها الحجاج بن يوسف الثقفي وتزوجها عبد الملك بن مروان، شاهدتها «عشتار» بنت وادي الرافدين التي ملأت التاريخ عطراً وأريجاً، تلك التي لُقّبت بآلهة الأنوثة والجمال في العراق القديم، امتلكت جدائل شَعر «غجري» وقواماً وتقاسيم تضاهي ما ذكره التاريخ عن «أوروبا» الأسطورة اليونانية التي حيّرت المحبين وكانت ملاذ الشاردين وسبيلهم في طريق الهوى.

مجالستها نعيم، وباغترابها عرفت ما يمكن أن يكون أشد من الجحيم، وفى خضم سير الحكاوى المتبادلة على خلفية موسيقية صوفية هادئة جال بالمكان، ثم اختار أن يستقر بيننا طيف «مولانا جلال الدين الرومي» مبتسماً وموزعاً «بيني

وبينها» نظراته الحانية، مردداً جزءاً من ترنيمته الأبدية قائلاً :
«لا تدع عينيك تبصران من دوني، لا تدع لسانك ينطق من دوني، لا تدع يديك تعانقان دوني، ولا تدع روحك تتحرك من دوني، ضوء القمر يظهر للسماء وجهه البراق، أنا الضياء وأنت القمر، ويل لأولئك الذين يسافرون وحدهم، أنت تعرف كل علامة، وقد مشيت على كل مسار، لا تذهب من دوني، بعضهم يدعونك حباً، أنا أدعوك ملك الحب، أنت تتجاوز كل الخيالات، تأخذني لأماكن لا أستطيع حتى أن أحلم بها، يا حاكم قلبي أينما ذهبت، لا تذهب من دوني».

يا الله، كلمات تسقي قلباً ظامئاً، وتشفي قلباً سقيماً، وتروض قلباً متمرداً.. وزادت بسماتها الصافية النقية بهاء الجلسة والحوار، وضحكاتها الهادئة عكست توهجاً متسللاً لشريان الحياة بداخلي، وربما شاهدتها بتقاسيم وجهها «أفروديت» آلهة الحب والجمال عند الإغريق.

ولأنها تركتني أحيا، بعد رقاد وسُبات، أناشدها وأناجيها ببعض مما تركه لي ولها الشاعر الصوفي العفيف التلمساني قائلا: «بَلَوْتُ الهَوى قَبْلَ الهوى فَوَجَدْتُه، إِسَاراً بِلاَ فَكٍّ، سُقَاماً بِلاَ طِبِّ، بِرُوحِي حَبِيبٌ لاَ أُصَرِّحُ باسْمه، وكُلّ مُحِبٍّ فَهْو يُكْنِى عَن الحُبِّ، بَرانِي هَوَاهُ ظَاهِراً بَعْدَ بَاطِنٍ، فَجِسْمِي بِلاَ رُوحِ وَقَلْبِي بِلاَ لُبِّ، بِحُبِّكَ هَلْ لِي فِي لِقَائِكَ مَطْمَعٌ، فَإِنّي مِنْ كَرْبٍ عَلَيْكَ إلى كَرْبِ».

صعوبات كبرى لنتعرف على قلوبنا بأنفسنا، رغم أنها قصت لي أشياء بديعة عن ذلك القلب؛ الذي ينبض بداخلي ولكنه لا

يحيا، وأنا لا أعلم، قلوبنا ترق وتدق دلالة للحياة التي نبضت بها لمن هم على بعد خطوات أو من بيننا وبينهم بحار وقارات. الآن كثيراً أغمض عينَي وأترك كل حواسي تذوب في آخر ملمس عطر، ولكن جراح المصلوب ما أعانيه، لا يضمدها سوى الكتابة. فأكتب وأكتب وأكتب لأنني لا أملك شيئاً، لا أملك مالاً، لا أملك مكانة بهذا العالم يمكن أن تكون سبيلي لها، لا أملك من جدران العالم إلا قلبي والكتابة، ربما يصلها ما أكتب وربما لا يصلها أبداً، لأنني في مشاعري رعديد، فجبني من الصدمات يفوق هلع الحريصين على الحياة من الممات، ويكفيني أن أكتب لي ولها وللعالم حتى وإن لم تقرأ... إنني منذ قابلتها وتلاقت عينانا وتخللت راحتي راحتها واقترب للحظة وجهي بحروف وجهها، شعرت بما تركه «الحلاج» ونسجه في معشوقه قائلاً: «والله ما طلعت شمسٌ ولا غربت إلا وحبّك مقرون بأنفاسي، ولا خلوتُ إلى قوم أحدّثهم إلا وأنت حديثي بين جُلّاسي، ولا ذكرتك محزوناً ولا فَرِحاً إلا وأنت بقلبي بين وسواسي، ولا هممت بشرب الماء من عطش إلا رَأَيْتُ خيالاً منك في الكاسِ، ولو قدرتُ على الإتيان جئتُكم سعياً على الوجه أو مشياً على الراس».

وأخيراً...قالت الإعلامية والكاتبة والشاعرة كريمة عوض ضمن إحدى قصائدها: «أنت لي عشقاً وسنداً»، وقال المتصوف والشاعر شمس الدين التبريزي: «إن الطريق إلى الحقيقة يمر من القلب لا من الرأس»، وهي حقيقة.

وحسمتها «كريمة عوض»

قشعريرة تهاجم أركان روحي كلما استدعت ذاكرتي صورتها البهية، ترتعش أصابعي الآن وأنا أحاول الكتابة لها وعنها، مشاعري نحوها مرض أو ربما بداية حياة يصعب تعلمها، لم أعد أعلم ما يدور لي وبي وحولي، تمنيت أن تكون قد قرأت ما فاض به قلبي «الأسبوع الماضي» ويبدو لي أنها قرأت ولكن يبدو أيضاً أن العراقيل اللعينة تطاردني وتبحث عن دروبي وتنتظرني.

هنا وجدت عقلي يطرق أبواب قلبي بشدة محاولاً الدخول ولكني بالشدة نفسها، رفضت وجوده أو حتى تلصصه الذي يحاول من خلاله أن يقدم لي حلولاً، في مشاعري لا مكان لعقلي، في عشقي لا وجود إلا لقلبي، أسمعها الآن تقول: «جنون»، وهو بالفعل أشد من الجنون لأني؛ لن أخطط كيف يمكن أن أكمل حياتي بالحسابات الدقيقة، لن أخضع مشاعرى للدراسات والنظريات القديمة والحديثة، أنا فقط سأترك نفسي والهوى، لأنني ربما أموت الآن، أو بعد أن أنهي ما بدأت كتابته، أو بعد أن أقابلها مرة أخرى، أو بعد أن أطبع قبلة الشوق على وجنتيها، أو قبلة طويلة بين شفتيها وبينهما أموت، هذا هو الموت الذي يمكن أن أتقبله.

وهي بجانبي، وهي بين يدي، وهي على مقربة تسمح بتلاقي أطراف وجهينا يمكن أن أموت. لا أعرف لماذا الآن نزلت بعض الدموع رغم أني كنت أحملها ليوم الموت في أحضانها، ولكن هذا هو حال الدموع لا يهمها دائماً إلا الهروب من العيون، هي تماماً مثلها تود التخلص من القيود، تود السفر، لا تريد أن أصنع لها أي سدود... لعنة الله على كل سد يمكن أن يحرمني من وجهها، وعلى كل إنسان يمكن أن يحجبني عن نورها.

حسمت أمري وأمرها مقتطفات من قصائد ديوان «أوراق التوت» للإعلامية والكاتبة والشاعرة كريمة عوض حين قالت: «ذات ليل مر سهواً من هنا... أسقط من جيبه الفارغ درهمين ودمعةً حُبلى وقلباً واهناً... ذابَ مثل الثلج خوفه حين صافح صدره محضُ طيف أدرك فجأةً كيف الفراق... أيا مَن مر طيفاً من هنا...مات مَن زرع الربيع بقلبك...مات ينتظر الحياة على رصيفك... مات يشتاق العناق».

وأيضاً: «الموت هو أن يهزمني الصقيع في ليلة صيفية، ضل دفؤك فيها عن سريري». وأيضاً: «لأنكِ كالجنيّة التي كل صباح ترمي النرد... تفتح ثقباً في صحراء القلب». وأيضاً: «أصنع من بسمتك اللؤلؤ قرطاً، من نغمات الصوت المرتعش سواراً، أصنع من وقع خطاك المنطلقة دوماً عقداً من ياقوت». وأيضاً: «وكيف أحيا والأسى يغزو وساداتي وكيف أكون في عينيك رسماً غير دمعات». وأيضاً: «قولوا لها إني أحبها، وإني وإن عشت في البعد، أفرح وأتغنى بها ومن أجلها».

ويعينني على الصبر في بعض اللحظات الصعبة -وما أكثرها- ما تركه لنا المتصوف والشاعر شمس الدين التبريزي قائلاً:

«الحب لا يكتمل إلا بالألم، ومهما حدث في حياتك، ومهما بدت الأشياء مزعجة فلا تدخل ربوع اليأس، وإن السعي وراء الحب يغيرنا؛ فما من أحد يسعى وراء الحب إلا وينضج أثناء رحلته، ولا قيمة للحياة من دون عشق».

وأيضاً ما يعذبني أنني حتى الآن لم أبُح لها؛ أخشاها وأخشى نفسي وأخشى القدر... أخشى ما بعد البوح بحبها، وأخشى كل ما يمكن أن يحول بيني وبينها، وأتذكر أيضاً قول كريمة عوض: «لو أن عيونك تزرع في قلبي الدفء، حين يخاف الظلمة، حين يضج من الوحدة، حين يشيخ، لو أن عيونك تأتيني، لو أغلقت عن الدنيا عيني، وعن الأسماء، وعن الشمس المبتعدة، حتى يأتيني منك يقين»، في تلك اللحظة فقط ستأتيني شجاعة الاعتراف حينما يأتيني منها يقين.

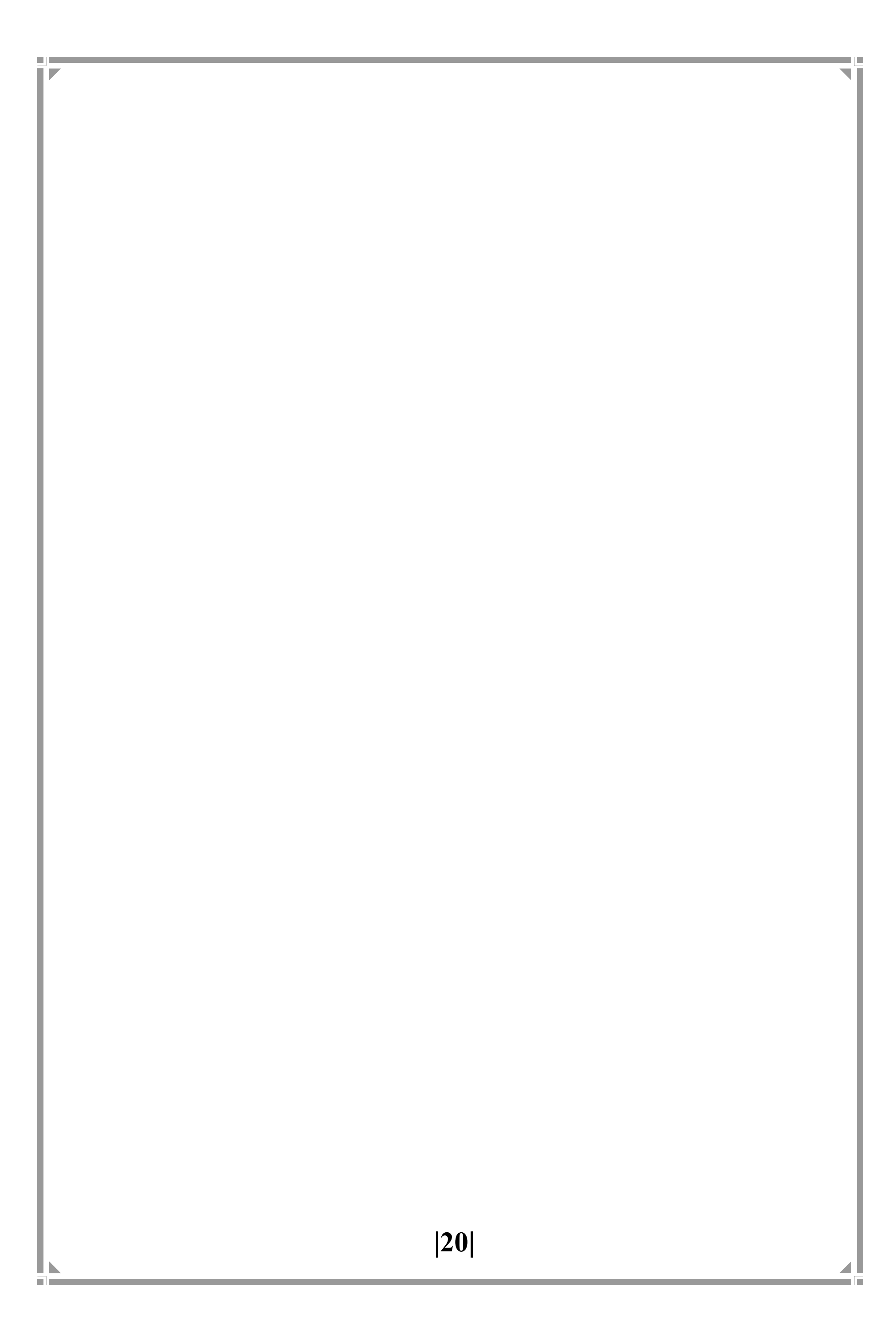
أنا دوماً في هذه الأيام ألوم نفسي المعذبة قائلاً: كيف يمكن أن أعيش في حدود أرض لا تعيش فيها؟ كيف يمكن أن أستنشق هواء لا تستنشقه؟ (رغم أن هذا في صالحها لأن هواءنا ملوث)، ولكني أنتهي دائماً مردداً لطيفها: «وجودك في حياتي يكفي».

كل ليلة وأنا في فراشي وحيداً أردد ترنيمة مأساة عشقي قائلاً: «من يشتري أنين الليالي لسفرها، من يشتري ظلام النهار بدونها، من يشتري صمتي وجبني وحبها، من يشتري سداً بيني وبينها، من يشتري... من يشتري قلبي الحزين بدونها».

وفي النهاية... لا أملك إلا أن أقول: «دامت طيبة».



سلاماً على الذين رحلوا



أنا ومذكرات أصحاب السعادة

لا يمكن أنسى تلك الملامح النقية والتعابير الصادقة؛ التي تركها بداخلي الدكتور مصطفى محمود قبل رحيله، كان في نهاية عمره بجسده النحيل، وعيونه الذابلة، وابتسامته الصافية، وصوته الوهن كأسطورة إغريقية قديمة، هكذا شاهدته خاصة بعد أن شدّ على يدي، وجذبني إليه في لقائنا الأول ليحدثني في أذني، بصوت خافت "كأنني إمبراطور في روما قديما" قائلاً :"ليس بيننا بريء فنحن جميعنا أبناء القاتل قابيل، ورثنا الدم على ظهورنا ولن يمحى إلا بنهاية البشرية، فإياك أن تكون ضحية" .

لقد شاهدت الكثيرين يأتون إليه يطلبون منه البركة التي لم أجده يوماً يبخل بها على أحد، حقا كنت من المحظوظين الذين اقتربوا منه، بل كنت المحظوظ الأوحد الذي اخترق عزلته في أيامه الأخيرة، وطاف في إرجائها وتململ بين كتبة وأفكاره الجارحة أحيانا والشافية في أحيان أخرى، وأخرجت كل ما تركتها فيه الحياة من رواسب وتجارب قبل الرحيل، كانت تجربة غنية للغاية وأعتقد إنني لن أحظى بمثلها طوال حياتي، لقد رحل مصطفى محمود ذلك المفكر؛ الذي ألحد وآمن في تجربة هي الأقرب "لأبي حامد الغزالي" بعد أن ترك لي إرثه الصعب

وهو مذكراته التي نشرتها في حلقات صحفية بـ"المصري اليوم" ثم في كتاب حقق من النجاح ما لم أكن أتخيله وقدمتها في ثلاثين حلقة تليفزيونية، ومازالت أسعى لتجسد في مسلسل درامي .

لقد كان مصطفى محمود ومذكراته بداية حقيقية لكي أمتلك أرشيفاً معرفياً وثقافياً "عقلي ومكتبي"، وأيضاً لكي يكون لي هدفي ومشروعي الصحفي الخاص؛ الذي يميزني عن كل من حولي في بلاط صاحبة الجلالة "كتابة المذكرات"؛ وهو مشروع وجدته إبداع يجمع بين طياته كافة الفنون الصحفية "الخبرية والتحقيقية والتقريرية والقصصية والسياسية والفنون .. ألخ" وبجوار الكتابة في الملف السياسي؛ الذي اتخذته منهجي وعملي تخصصت أيضاً في كتابة مذكرات مشاهير "السياسية والفكر والفن" وكان من الطبيعي أنني انتقلت إلى شخصيات أخرى وكان من بينهم رجل عكس كل من قابلتهم من كبار الكتاب والأدباء والمفكرين؛ فكان بابه مكتبة مفتوحاً للجميع لا يغلق أبداً؛ لأنه باب مؤسسة كتب عليه: "علم وفكر للجميع في أي وقت، وفي أي ساعة لا نغلق ليلاً أو نهاراً" مؤسسته الفكرية لم تكن مجرد مكان تقليدي، فشاهدت أن أفكاره لا يحتويها مكان ولا تتسع لها أرض ولا تحصر في زمن أو وقت، كان أول لقاء بيني وبين المفكر الكبير جمال البنا قبل نحو ثماني سنوات مضت ومن لحظتها، ولمست في الرجل بساطة وحسن خلق وطيبة لم أعهدها في أحد غيره إلا قليلاً، وكان بالنسبة لي نافذة كبيرة على عالم خفي عن شاب بسيط مازال يخطو أول خطواته في طريق المعرفة، والبحث الاجتماعي، والإسلامي والسياسي، تعلقت بالمكان، وبصاحبه أصبح لا يمر أسبوع أو اثنين دون أن أقحم نفسي عليه بزيارتي؛ التي كان يقابلها بكل ترحيب رغم انشغاله

الشديد بالقراءة أو الكتابة أو التصوير مع القنوات الفضائية المحلية، والعربية والعالمية التي تقصده دائماً وتتخذ من منزلة محراب للمعرفة، وكعبة للحج ومقاماً للزيارة .

لقد كان يعيش داخل صومعته أو مكتبه، فيكتب ويقرأ ويأكل وينام في حجرة ملاصقة لحجرة المكتب، وكان المكان أشبه بمتحف لعرض الكتب، والوثائق والمراجع بمكتبات الفاتيكان والكنائس التي؛ كانت موجودة بالعصور الوسطى؛ فالمشد ساحر وجميل، الكتب في كل مكان، مرصوصة ومفهرسة طبقاً لنظام علمي وأكاديمي، ودائماً كنت أجالسه وأناقشه وأطرح الأسئلة الكثيرة لأحصل على الإجابات المقنعة، أحياناً والتي تدخلني في عالم الترنح والتخبط أحيان أخرى، وأستطيع أن أقول أن جمال البنا مدّني بالكثير من الكتب سواء؛ كانت من مؤلفاته أو من مؤلفات غيره دون أن يحصل على أي مقابل مادي من جانبي فكان نبعاً يسقيني ويسقي الكثيرين غيري من عطشي للمعرفة والعلم، وفي النهاية ترك لي أيضاً مذكرات مليئة بالمعلومات والأسرار التي تحمل لي وللباحثين معلومات من جانب آخر ينتمي إلى بداية قرن سابق .

وكم كان التنقل بين الشخصيات أيسر من تنقل الفراشات بين الأزهار!، رغم أنني لم أكن أتصور في يوم من الأيام أنني سأقابل الرجل الذي كثيراً ما حدثني والدي عنه وعن مشاريعه، ذلك الرجل الذي ملأ الدنيا ضجيجاً سواءً بمشاريعه المتعددة أو ثروته الضخمة أو زيجاته؛ التي زاد عددها عن الثلاثين وهو رجل الأعمال أحمد الريان الذي استطعت بصعوبة بالغة

إقناعه بأن اكتب مذكراته، ولقد جاءت تلك الجلسة بيننا في أحد النيابات التي كان يعرض عليها بشكل دوري، وهو في فترة نهاية سجنه عن طريقة زيارة سهلتها لي أبنته "نهى"، وبالفعل بدأنا بعد خروجه مباشرة، ورغم أنه خالف اتفاقاً مكتوباً كان بيننا، وباع حق استغلال المذكرات لشركة إنتاج، وبالفعل تم إنتاج مسلسل درامي قبل أن انتهي من طباعتها في كتاب، إلا أننا لم نفترق حتى آخر يوم في عمره، ومازالت أحمل شيكاً لتعويضي عن الضرر الذي ألحقه بي بمبلغ "نصف مليون جنيه" مذيلاً بتوقيعه "لن يستحق الصرف أبداً"، ومازالت أتذكره بخفة دمه، وقفشاته ونكاته التي كانت لا تنتهي رغم معاناة السجن والاعتقال، والأمراض التي أصابته، وهو مازال في ريعان شبابه، ومن خلال مذكراته التي تركها لي توصلت إلى نتيجة واقعية من وجهة نظري؛ وهي أن الريان كان الأسطورة التي حطم عليها نظام مبارك عجزه أمام تحقيق طموحات الشعب المصري .

من الشخصيات التي لم أكن اطمح بأن أصل إليها ولكني وصلت، ولم أكن أتخيل أن تقبل عرضي البسيط وهو كتابة مذكراتها ولكنها قبلت، كانت الفنانة العظيمة والمناضلة وابنة محافظتي "المنوفية" ماجدة الصباحي؛ تلك الخمرية الرقيقة التي اقترنت صورتها بفتاة أحلام شباب مصر جميعاً في خمسينات وستينات وسبعينات وأيضاً ثمانينات القرن الماضي، إن أعمال ماجدة الفنية التي كانت محوراً رئيساً في انجذابي لها لم تكن أعمالاً بسيطة، بل كانت عميقة تحمل رؤية للمستقبل.

فقال لي صديقي الغالي الفنان نور الشريف عنها: "إذا أردت أن تعرف عظمة ماجدة، انظر إلى قائمة أفلامها، وأيضا إنتاجها التي لم تنجح فيه ممثلة أو سيدة قبلها أو بعدها سوى المنتجة أسيا" وقال لي صديقي الفنان كمال الشناوي قبل رحيله بأيام قليلة: "إن ماجدة ليست فنانة تقليدية فلا تخدعك رقتها وأنوثتها الطاغية، بل هي مناضلة لا تقل في قوتها عن حملة المدافع والصواريخ على جبهات الحروب والقتال". وبالفعل عن قرب أيقنت صدق حديثهما بنفسي، وبالفعل أعتبر مشروع مذكرات ماجدة الذي اكتمل في شكله "الصحفي والكتاب والبرنامج والمسلسل" بعد أكثر من ثلاث سنوات من العمل الدائم، جزءاً هاماً للغاية من حياتي وأعتقد أنه لن ينتهي بإنتاجه ونشره بل سيستمر دائماً حيّاً في سيرتي .

وكعادتي ألا أنهي شخصية دون التعاقد مع شخصية جديدة، ووجدت أنني عندما أتحدث وأكتب وأرصد المذكرات التي تناولتها، وكتبتها لا يمكن أن أغفل مذكرات الدكتور سعد الدين إبراهيم فلا شك في أنني عندما شرعت في تناول سيرته وناقشته في الأمر، كنت أسير على حد السكين، وأعمل ضد التيار لكونه ليس شخصية سهلة المنال، ولم يجمع حولها الناس خاصة وأنه؛ كثيراً ما أثير الجدل حوله سياسياً واجتماعياً، ولكنني اتخذت الخطوة إليه لأنني أيقنت أن هذا الجدل لم يتسرب إليه ثقافياً، وعلمياً فهو في النهاية شاء أو أبى البعض منا أستاذ المادة، وصاحب العلم في تخصصه الصعب الذي يعمل بشكل أساسي على تشريح الشعوب والمجتمعات

وإظهار مواطن الضعف، والقوة في الطاقة البشرية للبلدان شرقاً وغرباً، وعندما جالسته لأول مرة علمت من الوهلة الأولى لماذا يكرهه البعض؟! وأيضاً لماذا يذوب في حبه البعض الآخر؟! فهو رجل تحمل شخصيته ملامح كثيرة، ربما نفتقدها الآن في الكثيرون من النخبة السياسية والثقافية، يكفي أنه دائماً يتحدى الطبيعة المجتمعية، محاولاً أن يصل بوجدانه إلى شاطئ قناعته سواء توافق معها البعض أو رفضها، فإيمانه بالديمقراطية يصل إلى حد أنه يطبق حقيقة ما يؤمن به طالما أن إيمانه لا يكفر الآخرين، أو ينال من حريتهم وكبريائهم وكرامتهم، وإنسانيتهم التي فطروا عليها، ولا أنسى أبداً عندما ذهبت إليه لأعرض عليه أن أسجل معه وأكتب عنه مذكراته، والحقيقة أنني لم يكن لدي أمل في أن يوافق على مطلبي خاصةً وأنه كاتب مرموق، ويستطيع أن يكتب لنفسه ما شاء، ولكن بعد دقائق وافق على الفور مما أدهشني، وفي نفس الوقت أسعدني، وبالفعل انتهيت من كتابة مذكراته منذ أيام قليلة .

في النهاية، في مذكرات أصحاب السعادة "كل الشخصيات سابقة الذكر" وآخرون مازالوا بالنسبة لي مشاريع أسعى لتنفيذها، ومن بينهم كبيرنا الذي علمنا السحر "عادل حمودة"، لا شك في أنهم جميعاً أضافوا بسيرتهم، ومذكراتهم، وتجاربهم الحياتية أعماراً كثيرة للغاية، إلى عمري الذي مازال لم يتجاوز الثماني والعشرين عاماً.

ما بيني وبين نور الشريف

«أبكيكَ ولكن كلّ الْبُكاءِ لا يكْفيك»... كان لقائي الأول مع نور الشريف منذ عام ونصف العام تقريبًا، حينها كنت على وَشَك الانتهاء من كتابة مذكرات الفنانة الكبيرة ماجدة الصباحي، وكنت قد اتفقت معها على مقابلة مجموعة من النجوم؛ التي أسهمت في تقديمهم للساحة الفنية لأسجل معهم شهادات حول تجربتهم معها، وبالفعل كان أبرز هذه الأسماء نور الشريف الذي قدَّمَته ماجدة لأول مرة في بطولة مطلقة له بفيلمها الخالد «السراب»... اتصلت بـ«نور» وحدّدنا مواعيد كثيرة لم يستطع هو الالتزام بها لسفره وظروف مرضه، ولكني فوجئت به ذات مساء يتصل بي، ويسألني: «لماذا لم نتقابل حتى الآن؟»، فتمنيت ذلك ضاحكًا، فأكد على موعد مساء يوم جمعة داخل مول «أركان» بمنطقة الشيخ زايد، وداخل كافيه اسمه «كهوة» -بالـ«كاف» وليس الـ«قاف»- كان يعتاد الجلوس بداخله، ولكن قبل الموعد بيوم فوجئت باتصاله يسألني عن الموعد الذي سبق أن حددناه، لأنه يتذكر أن هناك موعدًا لكن لا يستطيع تذكر التوقيت (تعجبت بشدة من المرض وما يمكن أن يفعله بنا)... وأكدت له الموعد.

وفى صباح يوم الجمعة وجدت اتصالاً هاتفيًّا من نور الشريف يسألني: لماذا تأخرت عن موعدي فأكدت له أن

موعدنا مساء اليوم وليس صباحًا، فضحك ضحكته المعهودة قائلاً: «يا أخي عقل الإنسان دا غريب، لارتباطه بمكان معين واعتياده الوجود به في توقيت محدد يترتب على ذلك أن يختزل كل ارتباطاته في مثل هذا التوقيت». وأكدت له أنني سأكون موجودًا في موعدنا مساءً.

في النهاية ذهبتُ للمكان لأجد شخصًا نحيلَ الجسد إلى حد كبير، ويمسك بيده عصاً يتكئ عليها وعلى وجهه الشاحب نظارة طبية خلفها عينان مثبتتان، ذابلتان إلى أبعد مدى، ولأنني جئت إلى «نور» فقد حاولت أن أبحث عنه في المكان فكانت المفاجأة بالنسبة لي أن هذا الشخص -سابق الوصف- هو نور الشريف، اقتربت منه لأعرّفه بنفسي... ابتسم مصافحًا لي ومعتذرًا عن عدم قدرته على الوقوف نظرًا لأن هذا الأمر أصبح من الصعوبة البالغة، حتى أنه يتحرك بمساندة أحد العاملين معه.

سجّلت الجزء الخاص الذي سيضاف إلى «مذكرات ماجدة الصباحي»، التي صدرت بعد ذلك فى كتاب عن مركز الأهرام للنشر، ثم وجدته يسألني: «هل أنت مَن كَتَب مذكرات الراحل د. مصطفى محمود؟»، فأجبته: «نعم»، فأكد عظمة وأهمية العمل الذي قرأ طبعته السابعة لأكثر من مرة... وهنا لمعت في ذهني الفكرة فقلت: «لماذا لا تسمح لي بكتابة مذكراتك وتكون في كتاب؟»، فوافق على الفور قائلاً: «مَن يستطيع صياغة مذكرات كالتي قرأتها جدير بثقتي واحترامي وائتماني». وأضاف: «ولكن يجب أن تعلم -يا سيد- أنني الآن مجهد ومريض وربّما يكون هذا مرضي الأخير»... امتعضتُ للجملة التي يرددها نجم

من أحب النجوم إلى قلبي. وقد استكمل قائلاً: «... فالذاكرة التي كانت فولاذية أصبحت أرقّ من ورق البفرة، ولا أخفي عليك أنني بتعليمات الأطباء لكي تستمر الحياة أيامًا أو شهورًا، أودّع فيها أهلي وأصدقائي وأحبابي، لا بد ألا أجهد نفسي في الحديث أو الوجود في أماكن مزدحمة وهذا سيصعّب لقاءاتنا وتسجيل حوارات مطولة يمكن أن تعتمد عليها في صياغة المذكرات؛ لذلك أقترح عليك أن تعود إلى كتاب كان قد صدر عني منذ ثلاثة عقود، وأيضًا تعود لأرشيفي الصحفي الطويل والإذاعي والتليفزيوني، وتُخْرِجِ منه ما يتناسب مع طبيعة العمل الذي تود أن تكتبه، وبعد أن تضعه في قالب يتناسب مع طريقتك، ووجهة نظرك أكون قد تعافيت بعض الشيء ونراجع العمل معًا، ونضيف له ما ينقصه، وأعطيك الموافقة الكتابية على النشر ونعتمد الكتاب (مذكرات) أتركها لكل من يريد أن يتعرف على رحلتي في الحياة من المهد إلى الآن.»

وافقتُ بشدة على تلك الطريقة (الاعتماد على المصادر المتنوعة لصياغة كتاب عنه)، وبالفعل بحثت كثيرًا واحتفظت بكم هائل من أرشيفه الصحفي والإذاعي الذي تحصلت عليه من مصادر مختلفة، واستطعت أن أستخرج منه مادة كتاب يصل إلى نحو 400 صفحة، تناولت فيه «حكاية نور الشريف» من المهد مرورًا بالحرمان وما صنعه فيه، والحب وعواقبه الوخيمة عليه، والسينما التي كانت متنفّسه ونافذته، والسياسة التي لم يستطع أبدًا الابتعاد عنها، حتى وهو يقدم لنا فيلمًا كوميديًّا مثل «غريب في بيتي»، والمؤامرات التي كانت

دائمًا تحاك ضده في الخفاء مثل التي عاش تبعاتها في سبعينيات القرن الماضي، عندما زُجّ به إلى الاستهتار والإهمال والانحراف، لدرجة أنه خسر تربعه على عرش السينما لفترة وتاه وراء نزواته، لكنه سرعان ما عاد، أو في العلن مثل المؤامرة التي عاشها بكل جوارحه في تبعات فيلمه «ناجي العلي» الذي كاد أن يتسبب في هجرته لما تعرض له من حملة ممنهجة ومنظمة، ومرتبة للقضاء عليه نفسيًّا وفنيًّا واجتماعيًّا وحتى إنسانيًّا... ولمن لا يعلم فإن ناجي العلي «رسام كاريكاتير فلسطيني مهموم بالقضية الفلسطينية والعربية وتحرير الأرض، طال بريشته رقاب الكثير من الحكام العرب ومن بينهم؛ السادات واتفاقية كامب ديفيد، ومَن أيّدَها من الشعب المصري، لذلك اعتبرته مصر من المحظورين، وأيضًا اعتبرته الفصائل الفلسطينية من المنشقين والخائنين لنقده انقساماتهم، التي شتتت القضية وأضاعتها».

طرحتُ السؤال على مسامع نور الشريف في لقاءات أخرى جمعتنا: «أين ناجي العلي؟»، فدمعت عيناه وهو يقول: اغتيل ثلاث مرات... المرة الأولى «في شوارع لندن عندما أجبر على ترك مخيم عين الحلوة الذي نشأ فيه ببيروت»، والمرة الثانية «عندما اغتيل تمثاله الذي صُنع ووُضع أمام المخيم برصاصة في الرأس التي أخرجت لنا شخصيته الشهيرة حنظلة»، والمرة الثالثة «عندما مُنع عرض فيلمه في مصر، ورُفع من السينمات العربية، وبسببه أُدرج اسمي وبعض مَن ساندوني على قوائم الحظر لدول مجلس التعاون الخليجي»، هذا هو ناجي العلي الذي تسأل عنه يا سَيِّد (هكذا قالها نور بحسرة شديدة).

فقلتُ له «وما الحل؟»، قال «سعدت بعرض الفيلم بقناة «روتانا»، لكن الحل الوحيد الذي يرضيني، ويرضي كبريائي، أن يُعرَض الفيلم في التليفزيون المصري لينتصر الفن، ودرية شرف الدين أثناء توليها الحقيبة الوزارية وعدتني بذلك ولكنها لم تفِ». قلتُ له: «ربما أستطيع تحقيق لك ذلك»، فقال نور: «سيكون هذا مطلبي الأخير من الدنيا، أشاهد الفيلم الذي كان سبب تخويني ينتصر على من خوّنوني من الموالين لدولة مبارك، الذي -وللحقيقة والتاريخ- كان السبب في رفع اسمي من قوائم الحظر، والذي رفض مطلب ياسر عرفات بمنع عرض الفيلم في افتتاح مهرجان القاهرة السينمائي الدولي».

رحّب الصديق «عصام الأمير»، رئيس اتحاد الإذاعة والتليفزيون بمقابلتي، وطلبت منه عرض الفيلم الذي ينوي نور إهداءه للتليفزيون، ووافق «الأمير» (اسمًا ومعنى) على الفور واتصل بـ«نور» للاطمئنان عليه، وعرض الفيلم لأول مرة في التليفزيون المصري بعد أكثر من عشرين عامًا من المنع في سهرة احتفالات أكتوبر وتحديدًا يوم 10 /10 / 2014.

ما بين فترة إهداء نور للفيلم وبين موعد العرض نحو ثلاثة أشهر أو أقل، وأكاد أجزم بأنني كنت أتلقّى اتصالاً يوميًا من نور الشريف؛ للتأكد من موافقة التليفزيون على عرض الفيلم، وكان ذلك السؤال ليس عن ضعف ذاكرة بسبب مرضه الأخير بل كان لعدم تصديقه أن ذلك سيحدث، ورغم أنَّ عرض الفيلم الذي كاد يقتل صاحبه؛ جاء بلا ضجة إيجابية إعلامية كالتي مورست ضد «نور» بشكل سلبي من قبل، فإنه اتصل بي

بعد العرض مباشرة باكيًا فرحًا قائلاً: «الفكرة والريشة والقلم والفيلم انتصروا اليوم».

بعد عودة «نور» من أمريكا حاولت زيارته ولكن لم أتمكن، فأرسلت له رسائل عدة بعد أن فشلت كل محاولاتي للاتصال به هاتفيًّا، حتى فوجئت باتصال هاتفي منه يوم الجمعة 27 مارس الماضي (2015)، وتحديدًا في الساعة الثالثة وسبعة وثلاثين دقيقة يعتذر لي بشدة عن عدم قدرته على التواصل معي بأوامر الأطباء ويطمئنني عليه ويؤكد لي أننا سنلتقي قريبًا... لكنه رحل دون وداع تاركًا لنا أعماله الخالدة وحكايته الثرية وتجربته المتفردة..

رحم الله قديس الفن «نور الشريف».

«الأبنودي» والشعر «المحكي»

لأن الفراق نار، والموت هو نقطة البداية في عالم الأسرار، زارني الخال عبد الرحمن الأبنودي في اليوم التالي لوفاته، وجدته يقتحم عليَ حلمي ومنامي في جلبابه الوقور، ويلوِّح لي وكأنني أجالسه في منزله الريفي بالإسماعيلية، وبعد السلامات والتحيات طلبت منه أن نذهب للبحر، فوجدته يقول لي: «هناك طريق مختصر تعال نسير فيه»، وبالفعل سرت خلفه ونحن نتناول أطراف الحديث إلى أن فوجئت بأن الطريق المختصر ما هو إلا مقابر، وشاهد الخال على ملامح وجهي الخوف فسرعان ما قال لي «الأبنودى»: «يا ولدي لا تخشهم فهم الحقيقة، لا تخف منهم فهم أموات»، ثم أردف ضاحكاً وقال بلكنته الصعيدية: «همّا اللي المفروض يخافوا منينا»، ولكني لم أستطع مواصلة الطريق إلى أن رحل «الأبنودي» وسبقني وتركني وسط مقابر لا أعرفها، وموتى لم أقابلهم في يوم من الأيام.

لم يكن الحلم كابوساً، فقد استيقظت مبتسماً ومنشرح الصدر، وهذا ما دعاني إلى أن أرويه على أمي، تلك السيدة الريفية الأصيلة التي بدأت الاستماع بعد أن قالت جملتها المعهودة التي تظن أنها تحمل تعويذة سحرية تقضي على شرور

الأحلام: «الشمس على الحيطان والحلم للشيطان»، ثم أردفت مبتسمة ومفسرة الحلم قائلة: «الأبنودي يا ولدي في بالك، قول دائماً الله يرحمه». مات الشاعر والخال والأب عبد الرحمن الأبنودي؛ الذي استحق أن أرثيه بنفس الأبيات التي سبق وكتبها في رثاء صديقه «ناجي العلي» بعد اغتياله قائلاً: «أمّايه وانتِ بترحى الرحى على مفارق ضحى وحدك وبتعددى على حاجة مفقودة، متنسنيش يا أمّه في عدوده، عدوده من أقدم خيوط سودا في توب الحزن، وحطي فيها اسم واحد مات».

وجدان «الأبنودى» حمل مصر والعروبة كلها، وحقيقة أن أشعار «الأبنودي» لا يمكن أن يتم الاستمتاع بقراءتها، حيث إن كل المتعة تكون فى الإنصات للأبيات وهي تخرج من بين شفتي كاتبها نفسه، وبعباراته الصعيدية «الأبنودية» الصعبة التي كانت تحتاج منه في بعض الأحيان إلى تفسير معاني الكلمات، فأشعار «الأبنودى» هي التي يوصف جزء كبير منها بالشعر «المحكي»، وإذا حاولت بعد القراءة التجربة، فأمسك الآن بديوان «جوابات حراجى القط» أو «بالموت على الإسفلت» وابدأ في القراءة وأثق أنك ستتعثر كثيراً أمام بعض العبارات، وهذا ليس عيباً في أشعار «الأبنودي» بقدر أنه ظل سمة خاصة به، حيث كونت تلك السمة قواعد مدرسته، ما شجع بعده من الشعراء المعاصرين كثيرين وكان من بينهم «هشام الجخ» الذي حاول أن يسير على نفس درب «الأبنودى» وأن يستغل اللكنة الصعيدية ليطرح نوعية جديدة من عبارات الأشعار.

لقد استطاع عبد الرحمن الأبنودي أن يعبر عن نفسه ومشاعره ومجتمعه الصغير في أبنود، والكبير في مصر والوطن العربي بأبيات لا يمكن أن تُنسى سواء تلك التي غناها محمد

رشدي وعبد الحليم وآخرون، أو التي ما زالت حبيسة الورق والدواوين، ولو كان ما زال بيننا كنت سأذهب إليه، وسأدخل عليه مكتبه، وسأطلب منه الغداء «كما عودني دائماً» وسأقول له كيف استطعت أن تقول: يا خال «أوعوا تنسوني»، كيف استطاع عقلك أن يفكر في تلك الجملة؟! فحقيقة أن النسيان آفة الزمان والإنسان، ولكن هناك بشراً تفوقوا على الزمن والنسيان وأنت منهم. ولأن «الأبنودي» آثر في جيل وبكاه ملايين وجدت الزميل العزيز محمود زيدان، الكاتب الصحفي بـ«الأهرام المسائي»، يرثيه في مجموعة من الأبيات الزجلية قائلاً: «اتكلموا عنك يا وليدي... سامعهم يا عبد الرحمن... بيقولوا إنك همّلت الدنيا... أهم بناتك وسجراتك حلوين...حاجة من ريحتك... هيبلوا راس قبرك بشوية ميّه... مش قلتلك متفاتة الدنيا... أوعاك تتحزم بيها فيوم... دي زي ورقة توت... آخرتها الموت... كدابة... غشاشة... ومين زيها في الغش... دي يا وليدي بميت وش... تضحك وتفتح باب... تتغر إنت بضحكتها... تديك نهايتها... من غير إحم ولا دستور... بكفاية منها قطنة وكفن كستور.. شوف الناس يا وليدى أهم كلهم فرحوا بيك... إحراجي ويامنة وأم على أبعباس وكل الناس... بكفاية من الدنيا وأهلاً بيك»... الله يرحمك يا خال.

في ذكرى ميلادك يا دكتور

في ذكرى ميلاده، الذي للأسف لم يتذكره الكثيرون، لا يمكن أن أنسى تلك الملامح النقية والتعابير الصادقة التي تركها بداخلي الدكتور مصطفى محمود قبل رحيله، كان في نهاية عمره بجسده النحيل، وعيونه الذابلة وابتسامته الصافية وصوته الواهن كأسطورة إغريقية قديمة، هكذا شاهدته خاصة بعد أن شد على يدي وجذبني إليه في لقائنا الأول ليحدثني في أذني بصوت خافت، كأنني إمبراطور في روما قديماً، قائلاً : «ليس بيننا بريء فنحن جميعنا أبناء القاتل قابيل، ورثنا الدم على ظهورنا ولن يمحى إلا بنهاية البشرية، فإياك أن تكون ضحية».

لقد شاهدت الكثيرين يأتون إليه يطلبون منه «البركة» التي لم أجده يوماً يبخل بها على أحد، حقاً كنت من المحظوظين الذين اقتربوا منه، بل كنت المحظوظ الأوحد الذي اخترق عزلته في أيامه الأخيرة وطاف في أرجائها وتململ بين كتبه وأفكاره الجارحة أحياناً، والشافية في أحيان أخرى، وأخرجت كل ما تركته فيه الحياة من رواسب وتجارب قبل الرحيل، كانت تجربة غنية للغاية، لقد رحل ذلك المفكر الذي ألحد وآمن في تجربة هي الأقرب لـ«أبي حامد الغزالي» تاركاً لي إرثه الصعب وهو

مذكراته التي نشرتها في حلقات صحفية حققت نجاحاً كبيراً ثم في كتاب حقق من النجاح، ما لم أكن أتخيله وقدمتها في ثلاثين حلقة تليفزيونية، وما زلت أسعى لتجسّد في مسلسل درامي. لقد كانت كلماته غاية في العذوبة، وسهلة إلى أبعد حدود السهولة وبسيطة إلى أعمق مدى تصل إلى العامة، ومحدودي الثقافة بسرعة خارقة وأفكاره في متناول الجميع ليس فيها تعقيد ولا لبس بل هي بسيطة للغاية لا نجد أصدق منها للتعبير عما نرغب.

أستطيع بثقة القول إنه من زاوية خاصة جداً يعتبر الشرعية العلمية والدينية في مصر والوطن العربي، كان المرجعية الأهم، والأعلى لكل من يريد التعرف على الدين والعلم لقد أثبت أنه باقٍ رغم كل الصعاب التي واجهها في العهد الناصري، وكان قبل وفاته يقصده الكثيرون من العامة والخاصة ليتتلمذوا على يديه ويستفيدوا من علمه.

وهناك نماذج دالة على ذلك فأتذكر جيداً ما قالته لي لوتس عبد الكريم عن اللقاء الذي دار بينه وبين إحسان عبدالقدوس فقد كان إحسان في أيامه الأخيرة من حياته يعاني من اضطراب في المخ، أعقبه نزيف إثر جرح قديم غائر في رأسه وكان قد عاد من علاجه بأمريكا دون أن يتحسن ثم قابل لوتس عبد الكريم وهي كانت صديقة مقربة لمصطفى محمود، وقال لها: «أريدك أن تأخذيني إلى مصطفى محمود لقد صنع معجزات في حياته بالتغلب على كل مشكلاته، فأصيب بأمراض كثيرة وخطيرة تغلب عليها، وساءت علاقته بزوجاته إلى حد العذاب لكنه نجح

في النهاية في بلوغ الهدوء النفسي، والراحة وانتصر على كل آلامه وشفي؛ أود معرفة أسراره».. ثم ذهبا إليه واستقبلهما مصطفى محمود ببشاشة، ورحب بصديقه إحسان وحادثه كثيراً في أمور الدين والدنيا، وخرج إحسان مطمئناً لما سمع، وبعد أسبوع توفي إحسان عبد القدوس، وأيضا الملكة فريدة كانت تتابع برنامجه «العلم والإيمان»، وبعدها تتصل به تليفونياً لتستفسر منه عما غمض عليها فهمه، وكانت تلجأ إليه في أيامها الأخيرة لتسأله شرحاً لبعض ما ورد بالقرآن الكريم، وذات يوم استيقظت صباحاً مذعورة واتصلت به قائلة: إنها وجدت خاتمها مكسوراً وكان عليه صورة الملك فاروق. فأجابها ضاحكاً: بأنه خير ونصحها بأن تخلع الخاتم وتتبرع به. في النهاية... رحمك الله في ذكرى ميلادك يا دكتور.

المكتبة ومواجهة الإرهاب

صوته الوهن الهادئ كان أقوى من صرخات المتاجرين بالدين، عيناه اللتان كادتا أن تُغلقا لثقل جفون الزمن كانتا تشاهدان ما لا يشاهده أمهر القناصين، جسده الذي عبر عن زمنه الطويل كلوحة فنية رومانية قديمة، كان يتحمل الطعنات واللعنات لمجرد أنه حرك ذلك الجزء الرغوي «العقل» الكامن في مؤخرة جمجمته التي وضعت للمكتبة العربية، ما يقرب من مائتي كتاب هي حصاد الرحلة من المهد إلى اللحد.

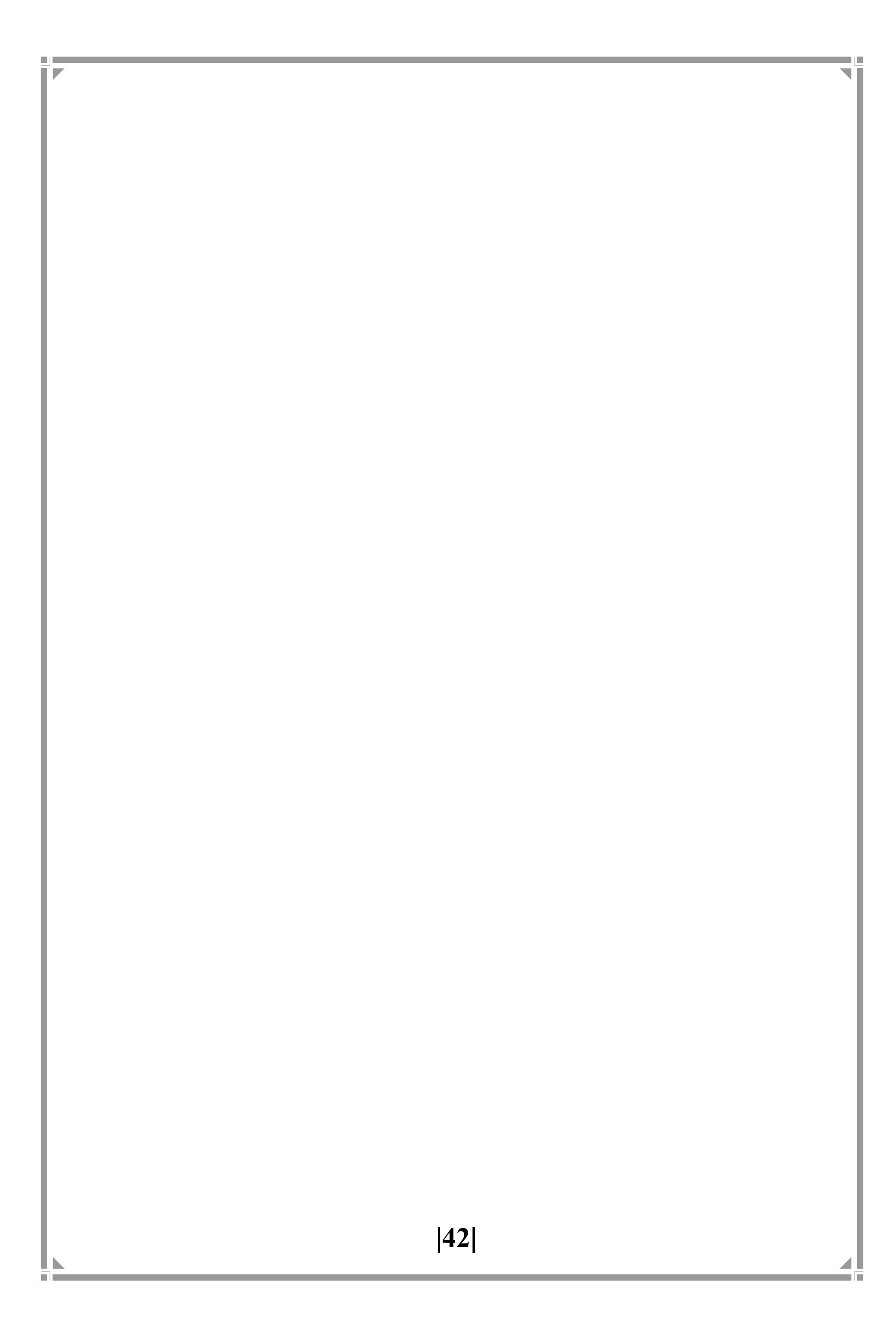
إن العم جمال «هكذا تعودت مناداته» صرخة قوية في وجه التطرف والتشدد الديني، ومن يرجع إلى كتبه التي ألفها وكتبها ونشرها عبر سنوات عمره التي تخطت التسعة عقود، سيجد الحل لكل مشاكلنا وأزماتنا الفكرية، لم يكن رعديداً، بل كان يواجه بجسارة، رغم علله الصحية التي لم تنتهِ أبداً، قد نختلف معه في أشياء، وهكذا كنت معه دوماً، ولكننا لا يمكن أن ننكر أنه أضاف للشرح الديني والفقه الإسلامي. بساطة العم جمال البنا كانت منتهى العمق، فلا يمكن أن ينسى التاريخ أنه قدم لنا كتاباته الشهيرة عن الإخوان المسلمين وتنظيماتها المحلية والدولية في زمن تحالفات الدولة ونظامها مع تلك الجماعة الإرهابية.

إننا جميعاً «حكومة ومثقفين» ظلمنا جمال البنا عندما تجاهلناه عقوداً من الزمن، ورفضناه لأننا لا نقبل التجديد ونحافظ على الجمود البالي الذي أصبح جزءاً أصيلاً من تفكيرنا وأخلاقنا، لم نرغب بأن يواجهنا رجل مثله بحقيقتنا وحقيقة ما اقترفناه في حق ديانتنا، وأيضاً ديانات أخرى سبقتنا وآمنا بها. ولكن يبدو أن عزلة جمال البنا كانت قدره الإلهي وترتيبه الربان ليستطيع الرجل أن يشاهد فى وحدته ما عجزنا عن مشاهدته في زحامنا، ويكتب على أضواء شموعه ما حرفناه في كتاباتنا على الأجهزة الإلكترونية الحديثة، وأن يفكر في صمت ليصل إلى دعوة إحياء الدين الإسلامي التي لم نصل إليها حتى الآن، رغم كل ما أنشأناه من جامعات ومعاهد ومدارس ومساجد وكنائس.

ما زلت أتذكر جيداً عندما تحدثت إلى الراحل جمال البنا معاتباً له على الاختفاء والتواري والعزلة التي فرضها على نفسه لعقود طويلة، فابتسم مردداً: أن تلك العزلة كانت في مصلحته فأعانته على أن يكوّن ثقافة يستفيد منها الإنسان؛ الذي بعث له الله بالأديان لتسير وتسهل له حياته، وأيضاً أعانته لتكوين مكتبة ستكون مصدر اطلاع مهم للباحثين من بعده، ولكن ما حدثني به جمال البنا بشأن المكتبة لم يتحقق، ففور وفاته أغلق ورثته «وهم معروفون بانتمائهم لجماعة الإخوان التي حاربها جمال البنا طوال حياته» مكتبه، وحاصروا مكتبته التي تحوي بداخلها ما يقرب من عشرين ألف كتاب لا يقدر أغلبها بثمن نسبة إلى القيمة الزمنية التي تتمتع بها، فبعضها كتب مر

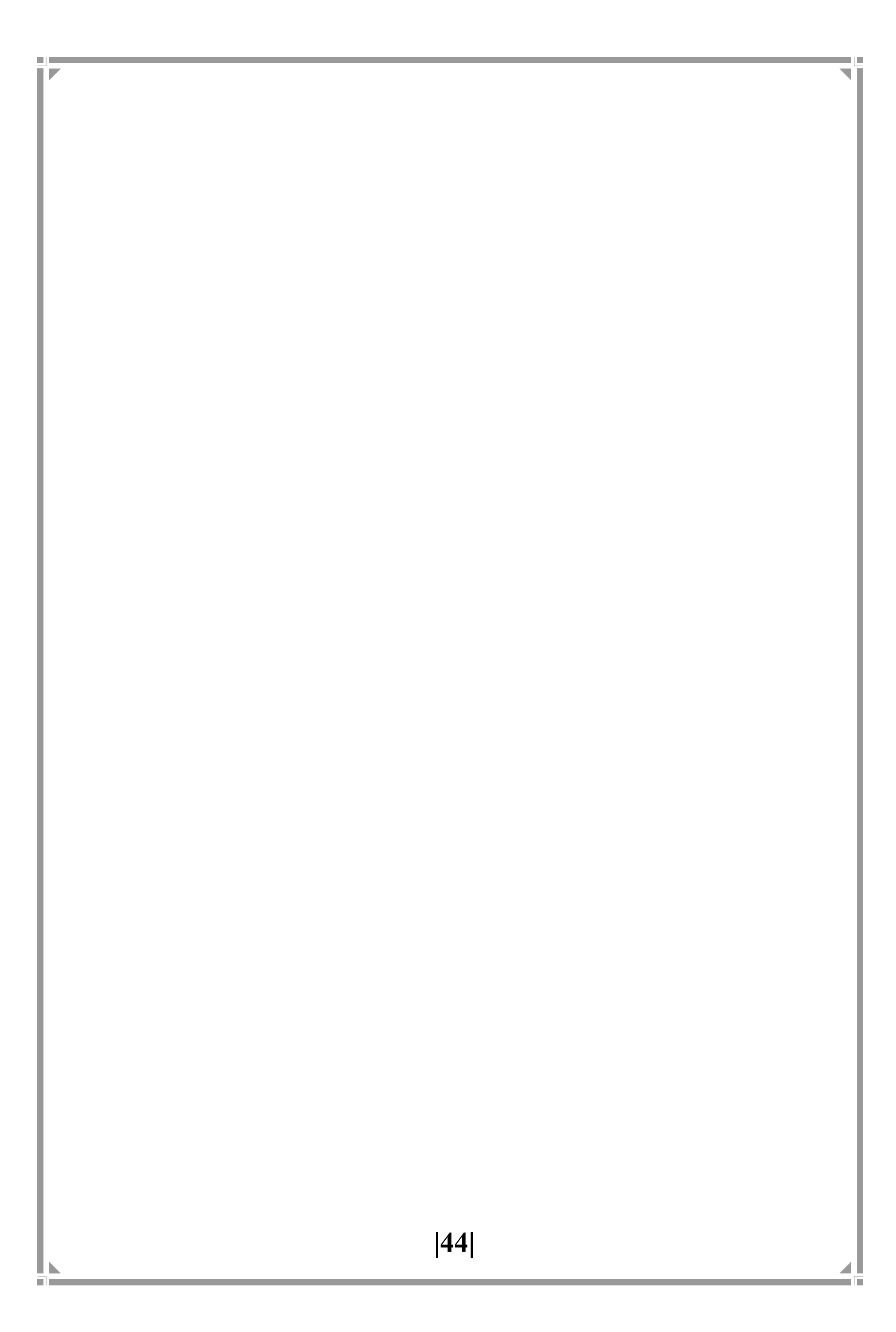
على طباعتها ما يقرب من المائتي عام، وأخرى طبعات حجرية من الهند ولبنان.

وللأسف الشديد والخجل أيضاً الدولة «بمفهومها الجديد الحالي» بعد ثورتين كان يجب عليها أن تهتم بالحصول على مكتبة تراثية تحوي بداخلها آلافاً من الكتب النادرة والقيّمة مثل مكتبة مفكر بحجم جمال البنا، بدلاً من أن نستيقظ يوماً على خبر «جريمة» بيعها لأحد الأثرياء العرب، كان يجب عليها أن تكرمه، وأن تمنحه أعلى أوسمة الدولة حتى بعد رحيله، كان يجب عليها أن تكرس في النفوس، وتدرس في المدارس ولو بعض ما تركه من أفكار يسهل بها مواجهة الإرهاب والتطرف الديني.





مع هيكل



خريف هيكل وحمودة

محمد حسنين هيكل وعادل حمودة كلاهما، وضع أسس مدرسة معاصرة في الصحافة المصرية، وكلاهما أضاف للتجربة الصحفية على صعيديها الخبري والمقال السياسي.

لقد كنت دائماً أعتقد أنني سعيد الحظ لأنني أعاصر تجربتين مهمتين في الصحافة، وشرفت بالعمل مع إحداهما (صحيفة الفجر)، ولكن يبدو أن الخريف يغتصب منا الأحلام والأوهام أيضاً. ولا شك في أن الخريف وجد له مساحة أخرى في حياتنا فتحول من خريف الفصول إلى خريف الشخوص، الذي بدأ بـ«خريف الغضب» ذلك الكتاب الذي سطره هيكل لتصفية حسابات شخصية بينه وبين السادات الذي وضعه في السجن، وامتد بـ«خريف هيكل» نفسه، ذلك الكتاب الذي سطره عادل حمودة، وصدر مؤخراً عن «دار منشورات البندقية»، والذي يبدو لي أنه أيضاً لتصفية حسابات شخصية... وبعد مطالعة جيدة للكتاب انتهى إلى أنه كتلة صلبة جداً حطم عليها حمودة (كبيرنا الذي علمنا السحر) عقوداً طويلة من المواءمة لهيكل (سارق الأعمار وأستاذ الأجيال الصحفية)، فتحوُّلٌ غريبٌ ذلك الذي طرأ على تلك العلاقة التي كانت تظهر للجميع في شكل «أبوّة وبنوّة».

ومن واقع ما ذكر حمودة في كتابه، وما كتب على صفحات جريدته، وقال عبر برنامجه في مراحل سابقة، عن أنه «لم يعبر عن اختلافه مع هيكل لأنه كان محاصراً من نظام يكرهه»، على عكس الحقيقة التي ذكرها في الكتاب نفسه عن أن «أبناء هيكل كانوا شركاء في عالم المال والأعمال لأبناء مبارك»، وشكك متسائلاً: «كيف يمكن الجمع بين عداء الآباء وصداقة الأبناء؟» مما يوضح أن ذلك الحصار الذي ذكره «حمودة» كان وهمياً، و«حمودة» كان يؤمن بذلك، وهنا يكمن التناقض وينكشف إدعاء «حمودة» بأنه الآن بعد الحصار يعلن الاختلاف الذي يجعلني أطرح سؤالي: «لماذا الآن؟»، والمعنِي بالإجابة بالنسبة لي هو هيكل نفسه وليس حمودة.

وبعيداً عن التحليل السابق لا شك في أن حمودة حشد في كتابه معلومات خطيرة تتعلق بالأمن القومي المصري، ومما ذكر أن هيكل كشف في برنامجه الأخير الذي عُرض على قناة «سي بي سي» الفضائية أنه -أي هيكل- «قابل زيناوي رئيس الوزراء الإثيوبي في إيطاليا وذكر له زيناوي أنه تعرض لمحاولة الاغتيال ثلاث مرات في عهد مبارك من خلال خطط السيد عمر سليمان»... ورغم أن تلك المعلومة التي رحل بطلاها «زيناوي وسليمان» تعد كارثة فإنني أرى أن تلك الكارثة لم يتم التعامل معها حتى الآن بجدية أمنية مع العلم بأنها حتى الآن ذُكرت مرتين.

فما ذكره حمودة عن هيكل يحتاج من الجهات الأمنية في مصر إلى فتح تحقيق عاجل مع حمودة وهيكل أيضاً لاستبيان

من منهما يعرّض ملف مصر المائي إلى الضياع، ومن منهما يهدد المصريين بالعطش نتيجة العلاقات المصرية الإثيوبية التي قد تصطدم بحائط تلك المعلومة التي لا تجد حتى الآن من يؤكدها أو ينفيها. فلا يعقل على الإطلاق أن تدفع الدولة المصرية نتيجة مفجعة يكون سببها صراعاً شخصياً وتنابذاً معلوماتياً خطيراً بين حمودة وهيكل، خاصة أن مصر الآن «شعباً وحكومةً» في موقف لا تحسد عليه، وتجابه تحديات كبرى من أجل النهوض مما وقعت فيه منذ قيام ثورة 25 يناير وحتى الآن. وفي النهاية أعتقد أن مصر كانت تحتاج من هيكل وحمودة إلى أن يقدما لها رؤية تنمية، وإصلاح واضحة من واقع خبرتيهما، لا أن يقدما لها صراع وخريف كليهما.

«هيكل» والخطر اليمني والإيراني

حقيقة لا أجد مبرراً مقنعاً لكل هذا الهجوم الذي يتعرض له أستاذ الأجيال الصحفية «محمد حسنين هيكل» الذي تتبناه مؤخراً بعض المنابر الصحفية والإعلامية.

لا ذنب لهيكل إلا أن الله أطال في عمره وما زال يمنحه القدرة على التحليل السياسي والاجتماعي المنضبط، لا ذنب للرجل إلا أنه عاد للظهور من جديد في حلقات تليفزيونية غير منتظمة على «سي بي سي» ليطرح رؤية تحمل إلى الرئيس المصري تجربة غنية بالمعلومات والخبرات، تلك التجربة لا تصدر إلى الشعب المصري الرؤية السوداوية والتعجيزية كما أطلق عليها البعض، في حين أنه صارحنا بحقيقة الأوضاع الداخلية والخارجية التي لا أجد غيره قادراً على التعبير عنها لأسباب أهمها أن الكثير من الحنجوريين الذين يطلون علينا لم يتعايشوا مع التجربة السياسية، والاجتماعية، والصحفية والمعلوماتية، مثلما تعايش معها «هيكل»، خاصة أنه كما قال هو وكما عرفنا عنه: «كان شريكاً قوياً في حكم الرئيس عبد الناصر، وبداية حكم السادات» وقام بتغطية معظم المعارك الحربية والسياسية في الشرق الأوسط والغرب الأمريكي والأوروبي.

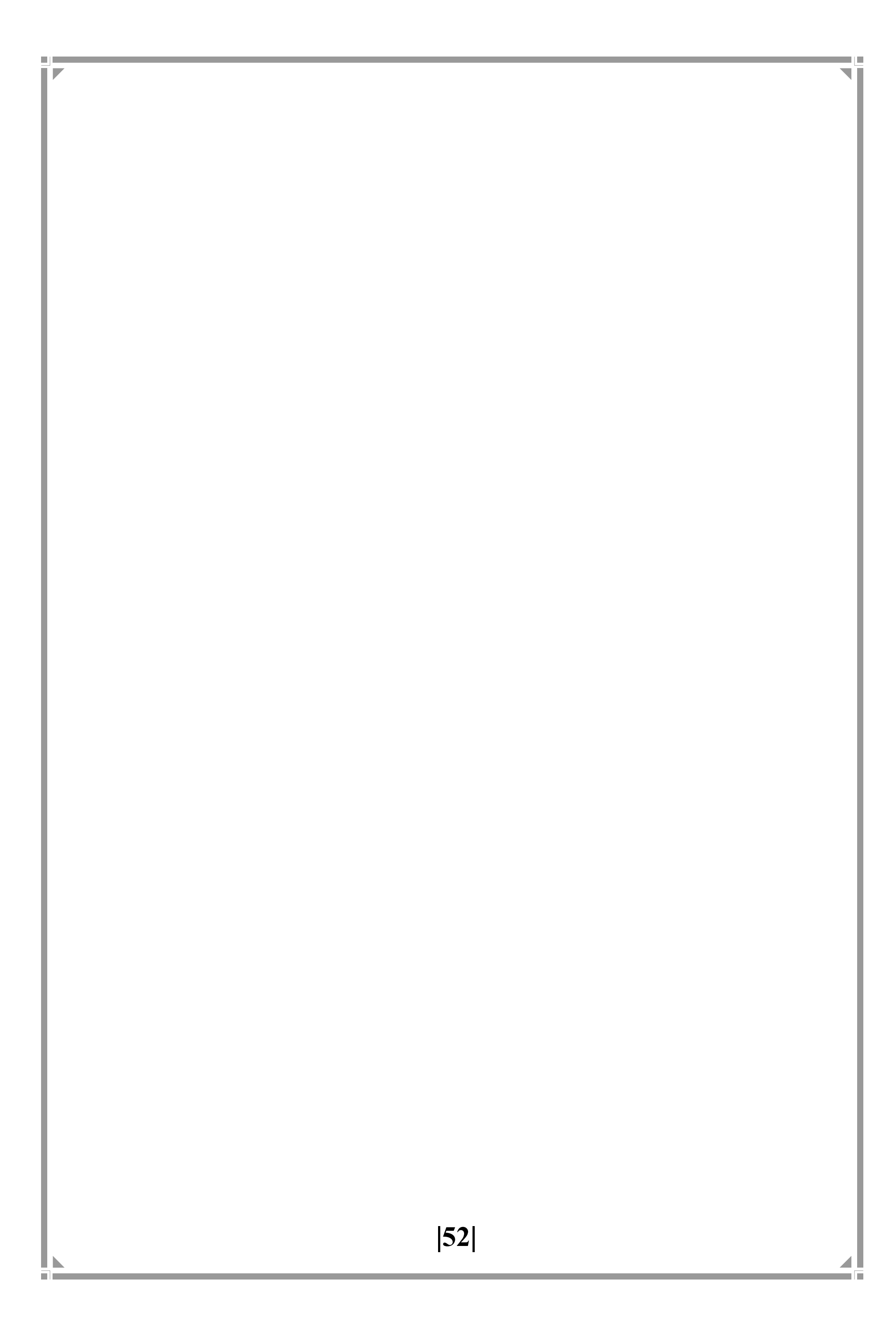
ربما يحاول الكثيرون من الذين يسنون أقلامهم ضد الرجل يأخذون عليه صراحته؛ التي نحن الآن في أشد الحاجة إليها، ويحاول البعض منهم أن يستعيدوا كامل نظريات المؤامرة فيما يطرحه: «لماذا اختفى لسنوات؟ ولماذا ظهر الآن؟ ولماذا يجاهر بصداقاته مع الأسرة الحاكمة القطرية؟ ولماذا ظهر على قناة الجزيرة كمقدم لبرنامج؟» مئات «لماذا» ظهرت فجأة دون أن يراجع من طرحوها، كيف كانوا يشيدون بشجاعته، وهو يواجه «مبارك» من منبر «الجزيرة»؟!، بل كان البعض يتمنون أن يكونوا في شجاعته، وأيضاً لدي بالأسماء صحفيون وإعلاميون وشخصيات عامة لامعة ما زالت بيننا الآن، كانوا يستجدون الرجل من أجل أن يكون وسيطاً في علاقات تجمعهم بالأسرة الحاكمة القطرية. بالتأكيد إذا شاهد الشتامون حلقات الأستاذ بعناية سيجدون فيها؛ أنه تحدث عن علاقته بقطر وشيخها التي توقفت منذ وجد هجومهم الشرس ضد الدولة المصرية الجديدة، وأنه بنفسه طرح علامات استفهام أمام صمت «نظام المشير طنطاوي ومجلسه العسكري ومن بعده نظام الإخوان» أمام قناة فضائية تحمل اسم «الجزيرة مباشر مصر» تعمل على تخريب الدولة المصرية، وقال: لا توجد دولة في العالم تسمح بأن يحدث ذلك على أراضيها.

لقد حاول الرجل في إحدى حلقاته أن يطرح ويناقش ما سماه: «خريطة الخطر التي تحيط بمصر» وقدم لنا تحليله لكيفية التعامل مع تلك الخريطة، وكان ضمن ما حملت الخريطة «الخطر اليمني والإيراني»، وهذا يؤكد لنا أن ما ردده

البعض حول إصرار الرجل على عدم عرض حلقة كان قد سجلها بسبب «عاصفة الحزم» على الحوثيين في اليمن، ما هو إلا تصيد خاطئ ومحاولة فاشلة للنيل من هالة الأستاذ التي تقف صخرة صلبة أمام الشتامين وحوارييهم، وحتى لا يظن البعض أنني منحاز لمجرد الانحياز، أذكر الجميع وأذكر نفسي وأذكر الأستاذ «هيكل» بما حدثني به د. سعد الدين إبراهيم في مذكراته التي سجلتها معه، ونشرت في حلقات على صفحات صحيفة «الوطن»، أن «هيكل» كان على خطأ كبير عندما ساهم في إقناع الرئيس العراقي الراحل صدام حسين بغزو الكويت مقدماً، له مبررات مفادها: «أن النظام الأمريكي لن يجرؤ على محاربته حفاظاً على النفط الذي سيكون تحت سيطرته». في النهاية لا أعتقد أن «هيكل» وهو في هذا العمر يحتاج منا إلى أن يكون مادة وموضة للتوبيخ والتجريح، بل يحتاج منا جميعاً إلى الإنصات له، ومناقشته ومجادلته والاستفادة من طرحه، وأعترف أنني لا أدعي نبوة الأستاذ هيكل أو عصمته من الخطايا، ولكن من كان منكم بلا خطيئة فليلقه بصخرة لا بحجر، وقبل أن ترى العفنة التي في عين أخيك انظر للخشبة التي في عينك.



على هامش الرحلة الايرانية



إيران والسفير أحمد الغمراوي

على هامش رحلتي إلى العاصمة الإيرانية «طهران» أكثر ما جذب انتباهي تجاه الشعب الإيراني، الذي التقيت ببعض منه أثناء إصراري على التنقل في حافلات بسيطة وعادية «بعيداً عن الحافلات الدبلوماسية»، أنه توّاق إلى زيارة مصر، وعاشق لشعبها، ومتيّم بتاريخها وتراثها، خاصة الإسلامي منه، وأكثر خصوصية «أضرحة آل البيت»، واكتشفت أنني مخطئ عندما ظننت أن تلك المشاعر لا تعبّر عن انطباع حقيقي وداخلي لدى الإيرانيين، بل واعتبرتها مشاعر مزيّفة عندما قابلني بها مندوبو رئاسة الجمهورية والوزارات المعنية بأمر الرحلة في المطار، قلت في نفسي: هذه هي الدبلوماسية الحمقاء التي تخلط المشاعر بالسياسة، وتجعل البعض منا يتفوه بما يكره، ويرسم على شفتيه ابتسامة وهو بركان ينصهر من الداخل.

استدعت ذاكرتي تلك المشاهد وأنا أستمع لحلقة إذاعية على موجة «البرنامج العام»، كان ضيفها السفير أحمد الغمراوي، مساعد وزير الخارجية الأسبق، للتعليق على فعاليات القمة العربية التي انعقدت في شرم الشيخ، وما حرّك بؤرة الذاكرة بداخلي؛ لتعرض تلك الذكريات الحميمة ما قاله سيادة السفير بعد تعليق ضيف آخر بالأستوديو الإذاعي وهو

الزميل عبد الله السناوي متحدثاً؛ عن مصر وما تواجهه من تحديات، حيث ذكر ما نستمع إليه ليلاً ونهاراً حول «الدور السلبي الذي تقوم به إيران وتركيا تجاه مصر»، إلى ما انتهى إليه حديثه، ولكن جاء تحليل السفير أحمد الغمراوي في غاية الأهمية، حيث ذكر وبوضوح أن مصر الضلع الأساسي في القوة العربية الإسلامية، وأن تركيا وإيران هما ضلعا المثلث اللذان يجب أن يتكاملا مع مصر، لكي تكون هناك قوة عربية إسلامية ترعد الغرب، وتهدد كل من يفكر في غزو المنطقة، وأكد من خلال رحلته الدبلوماسية الطويلة أن مسألة الشيعة والسنة والخلاف المذهبي بيننا وبين إيران ليس لها أي علاقة بالتكامل والاتفاق السياسي بين البلدين؛ لأننا نعقد هذا الاتفاق مع دول لا تدين من الأساس بالإسلام، فالأقرب لنا أن نعقده مع دول نعيش معها تحت مظلة دين واحد، وأن الغرب، كما أعلن من قبل، كان وما زال يعمل بقوة لخلق حرب طائفية ومذهبية لضرب المسلمين ببعضهم البعض، وأكد ما سبق وأشرت إليه أعلاه أن الشعب الإيرانى عاشق لمصر وتوّاق لزيارتها. لقد وجدت أن حديث السفير جاد وفعّال وعقلاني، ويحمل الكثير من الحكمة والخبرة، وكان واضحاً فيه أن التحرر من المنصب يجعل الشخص أكثر جرأة في طرح رأيه وتحليلاته السياسية، وتحديداً هذا هو الفارق الكبير بين من هم يجلسون على كراسي مناصبهم، ومن رحلوا عنها، بالضبط تلك هي الآراء التي يجب على السلطة في بلدي «مصر» أن تستمع إليها وتعطي لها أذنيها، وتفكر جيداً فيما تطرحه.

إن إيران قوة يجب ألا نفقدها، ويجب ألا نستعديها، ويجب ألا نتركها تبحث عن شريك آخر لتندمج معه، ونفس الحال ينطبق على تركيا، فلماذا لا يكون هناك هدف مشترك وقاعدة تجمع كل هذه القوة، وأن يعقد بينها جميعاً صلحاً من أجل مصلحة الأوطان والشعوب معاً، وأيضاً من أجل مصلحة الوحدة العربية الإسلامية التي يجب أن تتم؟! مع العلم أن التاريخ القريب ضرب لنا خير مثال للوحدة لمواجهة المخاطر؛ عندما قامت دول الغرب بكاملها بتنحية الخلافات جانباً وتوحدت عندما وجدت «هتلر وحزبه النازي» يشكل خطراً كارثياً عليهم وعلى شعوبهم. لماذا لا يكون هناك سعي من الدولة المصرية إلى الصلح بين الحبيبة إلى قلوبنا جميعاً «الدولة السعودية» وبين «الدولة الإيرانية»؟ وفي تلك اللحظة لن يكون هناك أي داعٍ لكل ما يجري من مؤامرات، وإهدار للمال والسلاح والبشر، أعتقد أننا جميعاً خاسرون ونستنزف قوى بعضنا البعض، إن لم نسعَ بشكل جاد وفعّال إلى بدء المراجعات، والمصالحات الحقيقية بين تلك القوى التي ذكرتها والتي ذكرها قبلي صوت عاقل ورشيد من قلب الدبلوماسية المصرية.

في النهاية لا أجد في خلدي إلا أن أردد الترنيمة الخالدة: «وطني (أمتي العربية والإسلامية) يا جنة الناس حاسدينها على جمالها وعلى مفاتنها».

الميليشيات تسيطر

حالة عظيمة من الجدل والتخبط أصابت المنطقة الشرق أوسطية، خاصة «الخليج العربي» لتحقق إيران جزءاً كبيراً من أحلامها وطموحاتها النووية بعد سنوات الحظر، الحروب غير المباشرة بين إيران وأمريكا، التي تمثلت أعظمها في الحرب مع العراق، وحروب الميليشيات التي تمولها منذ سقوط العراق في 2003، وغيرها لم تمنع إيران من تحقيق جزء كبير من مخططاتها.

ولكن المشهد الحالى يظهر السعودية مملكة مرتبكة، خاصة بعد محاولاتها إعادة هيكلة تحالفاتها بزيارة «خالد مشعل» الأخيرة للمملكة التي نفاها مصدر رفيع المستوى، مؤكداً أن مشعل جاء ليؤدي العمرة الرمضانية، ولكن المصدر لم يوضح هل كانت عمرة نبوية أم سياسية؟! وأصبحت الآن واضحة بشدة السيطرة الإيرانية الداعمة للحروب بالوكالة التي تشتعل في سوريا بين جيش النظام والميليشيات، وأيضاً الصراع الطائفي في العراق والبحرين، وبعض أصابع الاتهام تشير إلى أن إيران متورطة في تفجيرات السعودية الأخيرة، وذلك لإشعال نار الفتنة الطائفية في المملكة الهادئة دائماً، مما يخدم حتمية تدخل إيراني لمحاولة إنهاء حالة الفوضى، وتعزز الدراسة الأخيرة التي خرجت من «مجلس العلاقات الخارجية البريطاني»

عن جذور الصراع السني الشيعي في المنطقة ذلك بكشفها الانتماء السياسي للشيعة؛ الذي يكون بشكل أكبر لدولة إيران التي يعتبرها الشيعة قبلتهم ومصدر حمايتهم، ولا يكون ذلك الانتماء لأوطانهم التي يحملون جنسياتها، مما يجعل خيوط اللعب في اليد الإيرانية فقط.

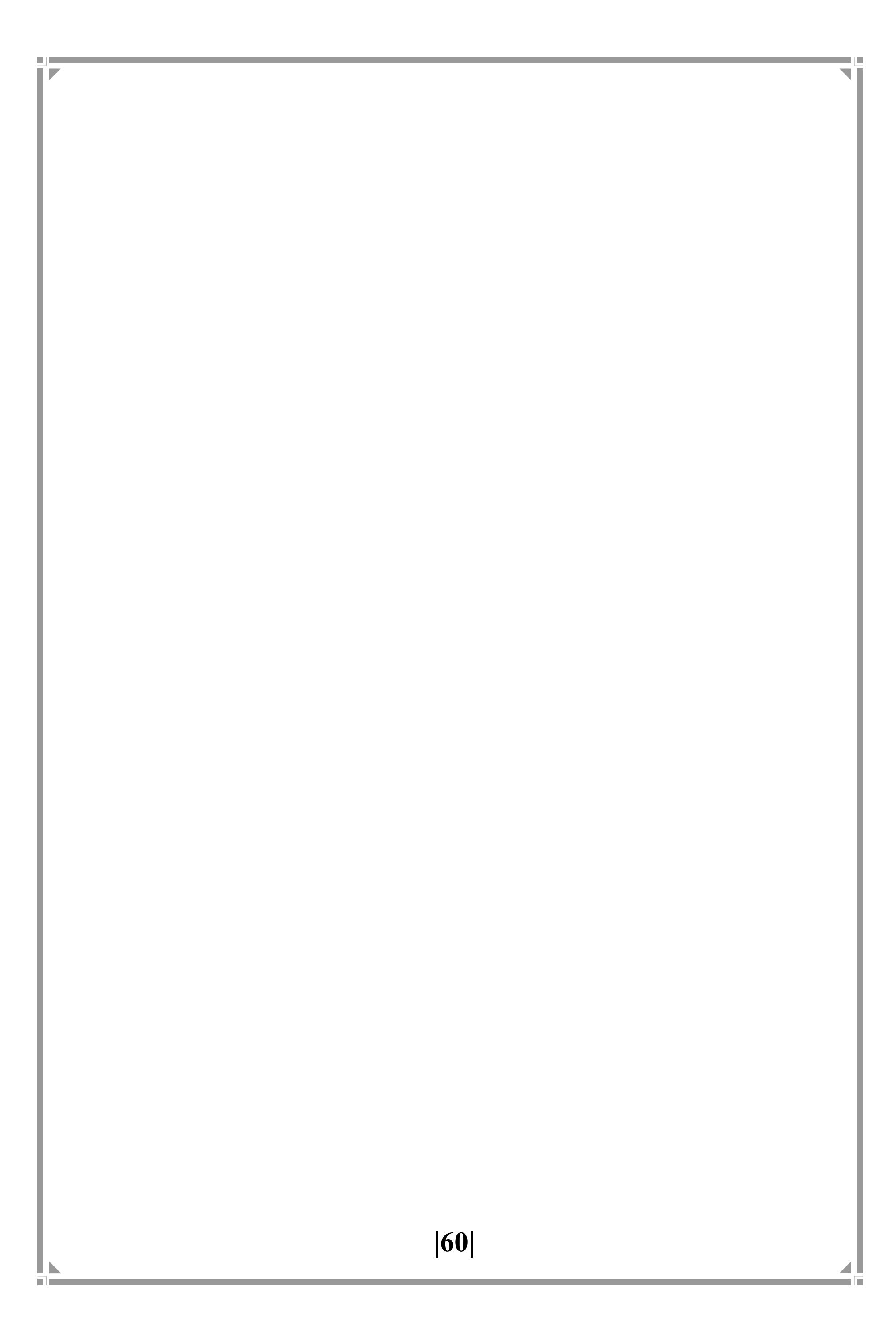
وربما خطط لكل ذلك وأكثر بعناية فائقة «آية الله الخميني» عندما أسس لدولته على أساس المذهب الشيعي إبان الثورة الإيرانية؛ ليعزز بها مكانة عقيدته التي لا تمثل، حسب ما جاء بالدراسة البريطانية سابقة الذكر، إلا 15٪ من تعداد مسلمي العالم. المشهد المرتبك والمعقد للمنطقة المشتعلة تظهر فيه ميليشيات تباشر السيطرة في مناطق عدة باسم الحرس الثوري الإيراني، وميليشيات تسيطر في ليبيا وتحجم دور الدولة، وميليشيات تسيطر في العراق تحمل اسم «الحشد الشعبي»، وميليشيات كردية تسيطر على إقليم كردستان وتحمي مكاسب الاستقلال الذي وعدوا به منذ بداية القرن التاسع عشر، تزامناً مع وضع اتفاقية سايكس - بيكو، وميليشيات تسيطر في سوريا، وتستنزف قوة دولة لا يمكن القول إلا أنها ما زالت قائمة طالما أن رئيسها «بشار الأسد» لم يسلم مفاتيحها، وميليشيات تسيطر على مساحات الفراغ الجغرافي التي تولدت في العراق ولا يعرف انتماؤها الديني بشكل واضح، رغم أنها أطلقت على نفسها اسم «الدولة الإسلامية داعش»، وميليشيات تسيطر على الشارع اللبناني منذ سنوات والمعروفة باسم «حزب الله»، وميليشيات تسيطر منذ سنوات طويلة على

جزء مهم من الشارع الفلسطيني، التي نعرفها جميعاً باسم «حركة حماس»، وميليشيات تسيطر على مقدرات اليمن عرفناها مؤخراً باسم «الحوثيين».

ورغم أن الميليشيات لا يمكن أن تتحول باستمرار وطول أجلها إلى جيوش ذات عقيدة، وتحمل لواء وشرفاً وجندية، إلا أنها تقوم بالدور الأهم الآن وهو قيادة حروب «قذرة» بالوكالة لا يمكن للجيوش النظامية تدنيس لوائها، وشرفها، وجنديتها للانغماس فيها. ميليشيات كثيرة انتماءاتها العقائدية المعلنة لنا جميعاً بين عقيدتين: «السنية والشيعية» باختلاف التطبيق بين التبسط، والتشدد في كل انتماء عقائدي، ويبدو لي أن إيران التي وضعت أهدافها منذ عقود طويلة؛ كانت تسعى لخلق مكانتها بالسيطرة على منطقتها، وإحكام اللعب فيها مثلما شاهدنا على مدار ما يزيد على الثلاثة عقود لتصل إلى أكثر بكثير مما حققته حتى الآن، وسر هذا النجاح للأسف هو حالة الفراغ التي تولدت بعد خروج مصر من المشهد باتفاقية كامب ديفيد، وحتى بعد عودة مصر إلى الحضن العربي ظلت مصر منخرطة في مشاكلها الداخلية ومكبلة باتفاقات دولية تجبرها على أن تحيا فقط، لتشتعل المنطقة وتصل إلى ما وصلنا إليه من تحقيق حلم إيران الذي كان مستحيلاً.

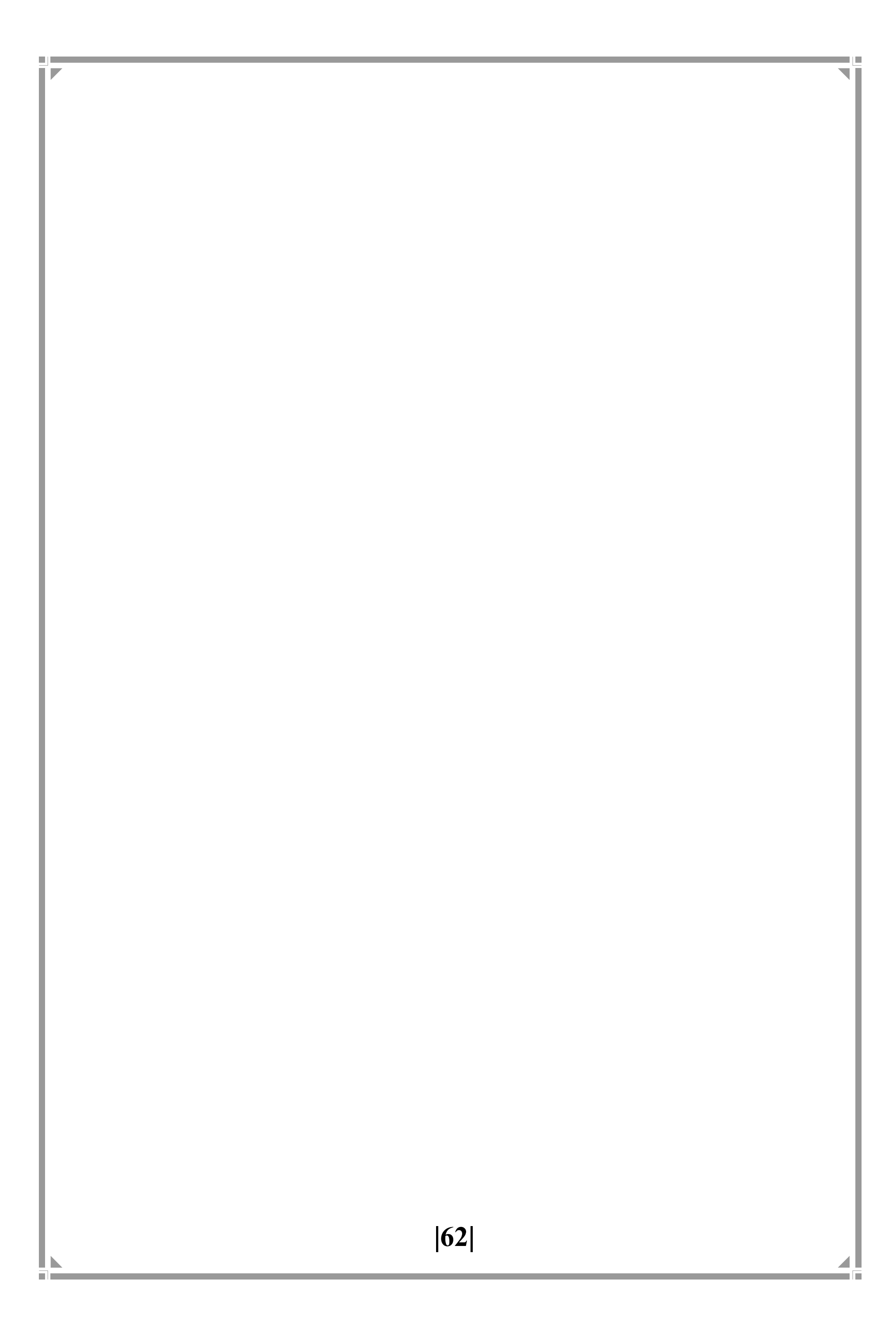
وربما قريباً يتحقق مستحيل آخر لإيران وهو تصالح سعودي إيراني برعاية أمريكية وللأسف ليست مصرية، الأمر الذي سينهي تماماً الدور المصري لقيادة المنطقة أو على الأقل لعب دور مهم في رسم مستقبلها، ولذلك يجب على الدولة

المصرية التحرك سريعاً للحفاظ على دورها، ومكانتها التي تتآكل. في النهاية إذا تحقق هذا التصالح الذي أتوقعه ربما يكون خطوة لانتزاع إيران من حظيرة الدب الروسي أو ربما لإحكام القبضة الأمريكية بشكل أكبر على السعودية التي أظهرت نذر التمرد في الفترة الأخيرة.





العمائم الناسفة



ساحة النار الطائفية

سيدي الرئيس عبد الفتاح السيسي، رغم كل الجهود التي بذلتها ونظامك الحالي للقضاء على التطرف والإرهاب الذي تمثل في مجموعات متنوعة من المنتمين للتيارات المتشددة والتي تتجمع كلها تحت مظلة واحدة؛ وهي جماعة الإخوان «الإرهابية» فإنك لم تتخلص منهم. سيادة الرئيس، ما زال بيننا إخوان، وسيظل بيننا إخوان وتكفيريون ودواعش وغيرهم من كل الشراذم الإجرامية؛ التي تستغل الدين لتبرير أعمال العنف ما لم تتخذ سيادتك قرارات حاسمة؛ لتطوير جوهر ومظهر الخطاب الديني الأزهري الذي سبق أن كتبت عنه هنا على صفحات «الوطن»، بعنوان «العمائم الناسفة تعلو منابر الأوقاف»، وسردت جزءاً من الكوارث التي يفوح بها الأئمة الجدد من أعلى المنابر، ولكن كالعادة لم يتحرك أحد. سيادة الرئيس، الأمر لا يحتاج منك مجرد عبارات تطرحها في خطاب أو أكثر، بل إن الأمر يحتاج منك إلى إصدار الأمر، والمتابعة، والحرص على تشكيل لجنة لتنقيح كتب التراث، وأيضاً لجنة أخرى للتوفيق بين القضايا الفقهية التي اتفق فيها الأئمة خاصة التي تمس سير الحياة اليومية للمسلمين، ولجنة أخرى للتقريب بين المذاهب الإسلامية، فمن المستحيل أن نعيش حروباً مذهبية وطائفية بين الشيعة والسنة، وتُستغل المنابر

والمساجد في الترويج لتلك الحروب في ظل أن العدو الإسرائيلي الصهيوني يتكاتف مع المختلفين معه عقائدياً ممن هم على نفس «ملته» من أجل أن يحافظ على قوته ليحقق بها حلمه المستحيل.

وأعتقد يا سيادة الرئيس أنك إذا نظرت، وأنت بالتأكيد تنظر، على المنطقة العربية ستجد أننا أصبحنا وللأسف في ساحة النار الطائفية، وفي الداخل المصري ستجد أننا وأيضاً للأسف أصبحنا طائفيين حتى بيننا وبين أنفسنا، والدليل على ذلك أن محاولة كاتب ومفكر مثل «إسلام بحيري» لإظهار الضعف والخطأ الذي يتنافى مع النص القرآني من داخل كتب التراث «الأئمة الصحاح»، وُوجهت بالتعالي والغرور من قبَل الأزهريين والسلفيين وغيرهم، بل وأيضاً حاولت المؤسسة الدينية الأهم «الأزهر الشريف» مصادرة حرية الرجل في طرح مباحث جديدة من أجل التطوير والتجديد؛ الذي نحن الآن في أمسّ الحاجة إليه، ربما نختلف جميعاً مع الطريقة التي قدم بها بحيري أبحاثه، ولكن في النهاية يجب أن نتفق مع الرجل في نقطة واحدة على الأقل؛ وهي تصويب الأخطاء، وإن اختلفنا معه في نقاط أخرى متعددة، خاصة أن المناظرة الأخيرة التي عرفت بـ«البحيري... الأزهري... الجفري» استطاع فيها المحاور والإعلامي «خيري رمضان» الذي أدار المناظرة بمهنية وحرفية رائعة عبر برنامجه «ممكن» على قناة «سي بي سي» أن ينتزع، وبصعوبة شديدة وعلى مضض، من الشيخين «أسامة الأزهري، والحبيب علي الجفري» أنهما يمكن أن يعترفا بخطأ أئمة مثل

«البخاري ومسلم» إذا «وُجد» خطأ في ما تركه أحدهما من تراث، وأيضاً تأييد د. سعد الدين هلالي لجزء مما يطرحه بحيري، وهذا يعني أن هناك نقاطاً يمكن أن نلتقي فيها مع جيل «مفكري ما بعد الحداثة».

وحالة أخرى ومختلفة يا سيادة الرئيس تعبر عن الطائفية الإخوانية الداعشية التي أصبحت تحتل أفكار البعض منا أختم بها مقالي، وهي أن الدولة عندما وافقت على سفر مجموعة من الفنانين المصريين للعراق بناء على دعوة من رئيس الوزراء العراقي للاحتفال بانتصارهم على فصيل من داعش؛ كان يجب للدولة المصرية أن تضمن لهؤلاء الفنانين، أنهم لن يكونوا فريسة سهلة المنال للتيار السلفي، وأتباعه الذين لاحقوا بعضهم بعد عودتهم، وتم التشهير بهم «باعتناقهم المذهب الشيعي» لمجرد موافقتهم على الزيارة. والحقيقة أن كل ما سبق وسردته، يا سيادة الرئيس، لا يدل على أننا نسير إلى الأمام، بل هو يدل على أمر واحد، أننا ما زلنا نسير للخلف، وما زالت الأفكار الإخوانية والطائفية والسلفية المتشددة تسيطر على مجرى حياتنا وتسيرها... فأرجو أن تتدخل يا سيادة الرئيس من أجل أن تُصلح ما يهدمه البعض منا.

العمائم الناسفة تعلو منابر الأوقاف

في عطلة الأسبوع الماضي ذهبت لصلاة الجمعة، ولكنني فوجئت بإمام المسجد، الذي لم يتجاوز الخمسة والعشرين عاماً، والذي بدأ خطبته بالبداية التقليدية حتى بدأت أشعر بالنعاس، وكدت أستغرق في النوم تماماً، ولكن فجأة وجدت نفسي منتبهاً تماماً بعد أن وجدت الشيخ الذي يعتلي المنبر وهو ممسك بيده ورقة «فلوسكاب»، يقرأ منها خطبته يصرخ بأعلى صوته، وينطق باسم الصديق العزيز «إسلام بحيري»، فانتبهت أكثر: ما الذي أتى باسم «إسلام» في ورقة الشيخ وخطبته؟ «فبالتأكيد إسلام غير مقرر ضمن كتب الأزهر التي درسها الشيخ»، وبدأ الشيخ يشرح أشياء كثيرة قائلاً بالنص: (إسلام بحيري يطالب بتجديد الخطاب الديني، فماذا يفهم هو في الخطاب الديني، إنه لا يستحق اسمه، فمن لقبه بهذا الاسم لم يكن يعلم أنه سيكبر ويخرف، فكان يجب أن يلقبه «إجرام بحيري»، لعنة الله على ذلك الزنديق الذي يطل علينا من قناة «القاهرة والناس» الفضائية التي كان يجب أن يكون اسمها «العاهرة والناس»).

أصابني الذهول من خطاب الشيخ فكيف يمكن أن يتفوه بمثل هذه العبارات والإهانات غير اللائقة من فوق منبر كان لا بد أن يظل بعيداً عن تلك الصراعات؟!، وأن ينأى به الشيخ

عن تلك البذاءات، وأكمل الشيخ خطابه الحنجوري الذي انتبه إليه حشود المصلين الموجودين بالمسجد من شباب وكهول: (إن إجرام بحيري حصل على رسالة الدكتوراه من جامعة كامبريدج الموجودة في بلاد الصليبيين الكفرة، وهو يرأس مركز دراسات جريدة «اليوم السابع» التي يمتلكها رجل الأعمال النصراني نجيب ساويرس، الذي سبق وسخر من الإسلام ورموزه، وهذا المجرم يطعن في صحيح البخاري، الذي أصح كتاب بعد كتاب الله، ويقول بأن البخاري ملأ بالخرافات والعفن الفكري)، وبدأ الشيخ يشرح من هو البخاري ومسلم وما هي كتبهما التي تركاها، ولماذا يجب أن نتمسك بها؟!، وإن كان «إسلام» أخطأ فلم يطلب الشيخ له الهداية، ولكن وعلى حد تعبير الشيخ «بعد خطئه في حق الإمامين لا بد أن تحل عليه لعنة الله ولعنتنا».

بدأت أنزعج جداً من هذا الحديث الذي وجدت والدي البسيط منجذباً له بحماس كباقي المصلين «البسطاء»، فهمست في إذنه محاولاً أن أشير له بأن معظم المعلومات التي قالها ذلك الرجل الذي يلقبونه بالشيخ عن إسلام بحيري، وعن نجيب ساويرس غير صحيحة، فرد والدي وأنت تعرفهما؟! فقلت له يا والدي: «إسلام» الذي يسميه شيخكم «إجرام» زميل مهنة، وصديق شخصي، وعلى قدر عالٍ من الثقافة، وما يدعو له يجب جميعاً أن نسانده فيه، ونجيب ساويرس صديق عزيز وهو رأسمالي مصري «صعيدي» وطني حتى النخاع، وأيضاً يقدم مصلحة الوطن على أي مصلحة أخرى. ولكني فجأة وجدت نبرة صوت الشيخ تعلو أكثر وهو يقول: «هؤلاء هم من يريدون أن يبعدوكم عن دينكم وتراثكم الإسلامي، إجرام بحيري

الذي يحرضه النصراني نجيب ساويرس»، حاولت أن أحتج على حديث الشيخ ولكن والدي أمسك بيدي وهمس إليّ ألا أتحرك فلا يجوز مقاطعة الخطيب أثناء الخطبة، فقلت له: حتى لو أخطأ؟ فقال: الشيخ لا يخطئ فهو أعلم منك بصديقك هذا، ثم أشار قائلاً: «أحسن اختيار أصدقائك». خلاصة القول: في ظل الإرهاب الذي يحيط بنا في الداخل والخارج من الإخوان والدواعش؛ يجب أن نعمل حقيقة على تجديد الخطاب الديني لا بالشكليات التي نفذتها وزارة الأوقاف بتعيين أئمة من الشباب أمثال الشيخ سابق الذكر، ظناً من الوزارة أن هذا هو تجديد الخطاب الديني في ظل أن ذلك التجديد لن يحدث إلا بعد أن يؤمن شيخ الأزهر وأئمته بأن التراث الذي بين أياديهم يجب أن يتم تنقيحه، ويجب أن يدرس بمفهومه الجديد لأئمة المساجد القدامى، والشباب حتى لا يتحولوا إلى عمائم ناسفة تنفجر في وجوهنا جميعاً.

استقالة من مجتمع «الجبة والقفطان»

محاولة التجديد لأدوات ومعطيات ومفاهيم المؤسسة الدينية السنية الإسلامية المصرية الأهم في العالم الإسلامي «وزارة الأوقاف، ودار الإفتاء، والأزهر الشريف» ليست قاصرة فقط على تجديد الخطاب الديني، كما كتبت من قبل وكتب زملاء آخرون، بل هناك جانب مهم للغاية هو التجديد في إستراتيجية التعامل مع العاملين داخل تلك المؤسسات بشكل عام، ومع العاملين بالأزهر الشريف بشكل خاص، والخصوصية هنا جاءت لكون الأزهر «جامع وجامعة ومعاهد» منتشراً في كل أنحاء الدولة المصرية، ويقبل عليها الكثير من أبناء المجتمع المصري والعربي، وحتى العالمي من المنتمين للقارات المختلفة ويدينون بالدين الإسلامي.

دعاني إلى معاودة الكتابة في هذا الملف تلك الاستقالة التي مدّني بنسخة منها «حمادة فكري أبو الفتوح»، وهو واحد من الأساتذة الأكفاء والمشهود له من الجميع في تدريس اللغة العربية، وكان أحد المعينين في واحد من المعاهد الأزهرية، ولكنه استقال منه لأسباب شرحها في استقالته، التي وجدتها في غاية

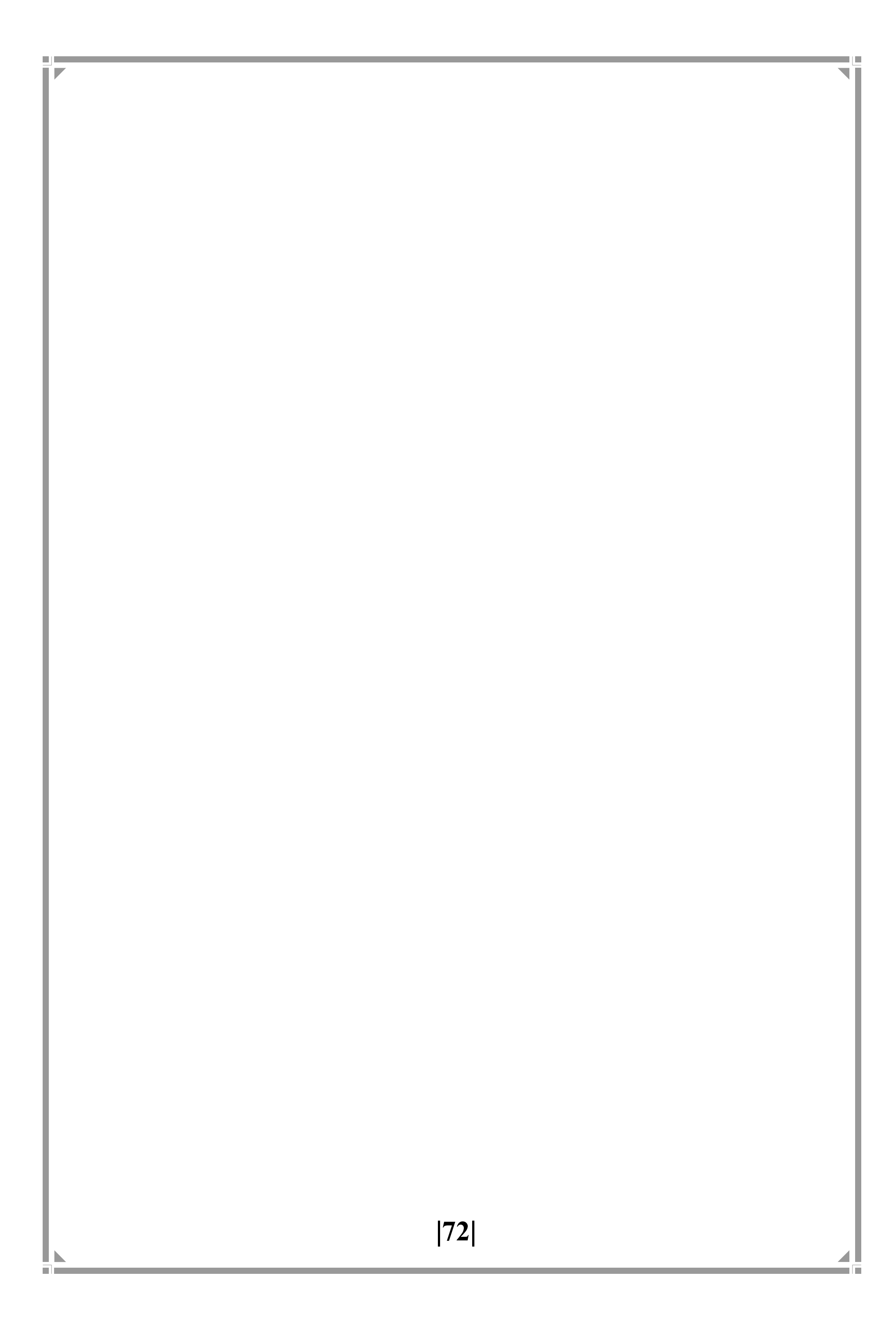
الأهمية لكونها ليست مجرد استقالة عادية بل ترمي لأبعد من هذا بكثير، حيث قال فيها: «إلى صاحب الفضيلة شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب، يشرفني أن أقدم طلب استقالتي عن العمل والاستغناء عنه تماماً، والبحث عن عمل حر أجد فيه معاني العزة والكرامة والمجد، أما العمل في الأزهر فوجدت فيه معاني الذل والاستعباد، فجاء قرار استقالتي عن طيب خاطر وقلب مطمئن ونفس راضية، أما الأزهر الذي كنت أبحث عنه في الكتب فلم يعد منه سوى جدران ومؤسسات بلغ الظلم فيها أعلاه، ووصل الفساد أقصاه، وأعلم أن العمة في الأزهر عمتان «قمم ورمم»؛ أما القمم فهم مغمورون، وأما الرمم فهم ظاهرون!!، وأرثي الأزهر في القيادات التي جعلت منه قشة في مهب الرياح ومطبعة رخيصة لتبرير الاستبداد والتواطؤ على الفساد، واتسم هؤلاء بالبيروقراطية المستبدة والدوجماطيقية الفجة والعقول المبتسرة، ولا أملك إلا أن أقول رحم الله زماناً كان للأزهر فيه رجال يدافعون عن قلاعه الرشيدة وحصونه المجيدة، ومجده التليد، وأعلم أنني وقفت أمام جبال الظلم والفساد ولم أعرف الانهزام والاستسلام وكسرة راية الظالمين، وجعلت راية الحق عالية خفاقة وأعطيت لهم درساً بأن الحق أكبر منهم».

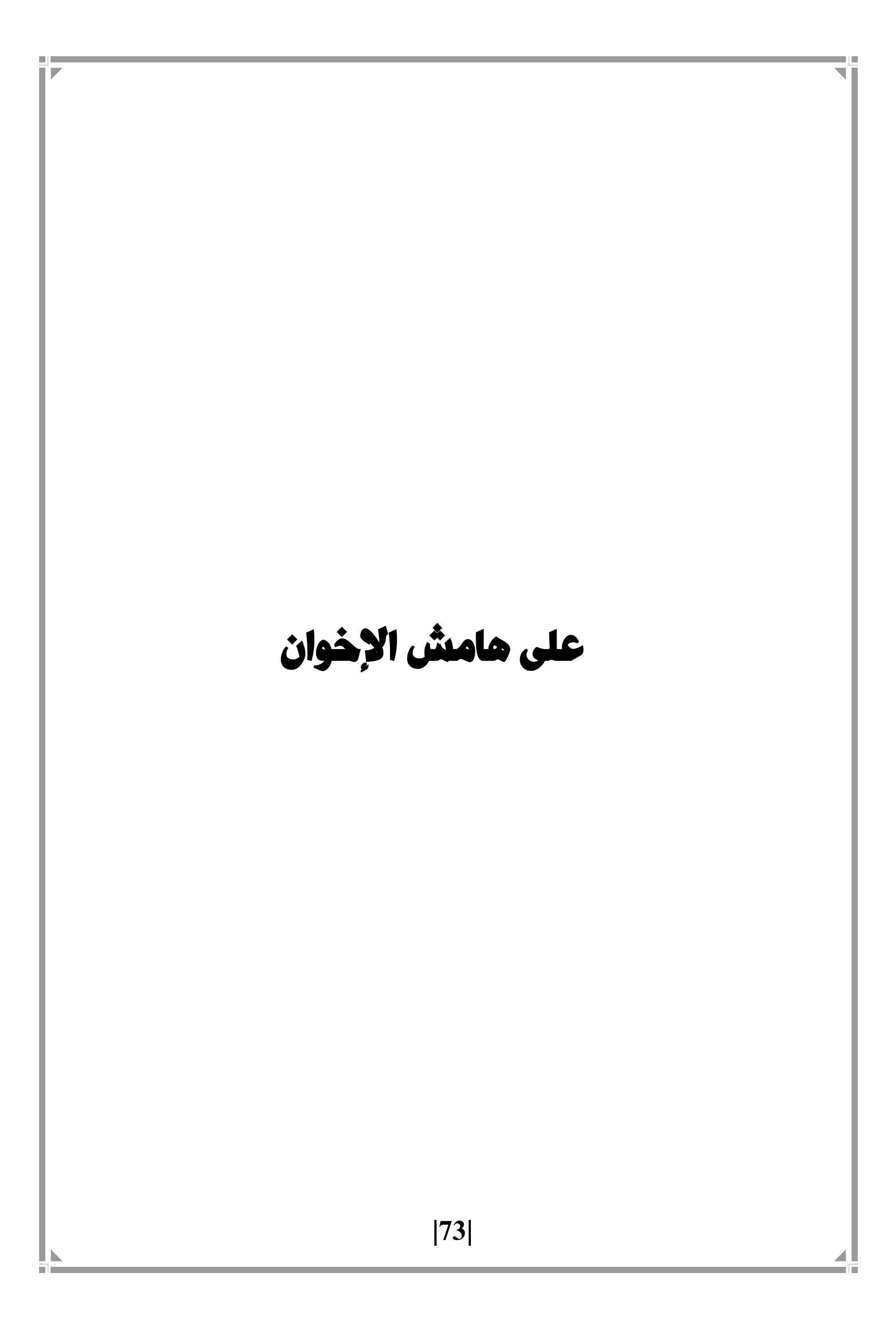
تم قبول الاستقالة وخرج الرجل من التدريس داخل أروقة الأزهر وللعلم «تم تعيينه مباشرة في نظام التعليم العام لما يتمتع به من كفاءة»، ولكن الغريب أن الاستقالة لم يتم فتح التحقيق فيها، هكذا حدثني الرجل وأكد لي أن من ضمن

الأسباب الرئيسية للترقي والوصول للمناصب داخل الأزهر هو السلاح النووي «المأكولات البحرية بكل أنواعها» التي تستقر في بطون بعض القيادات.

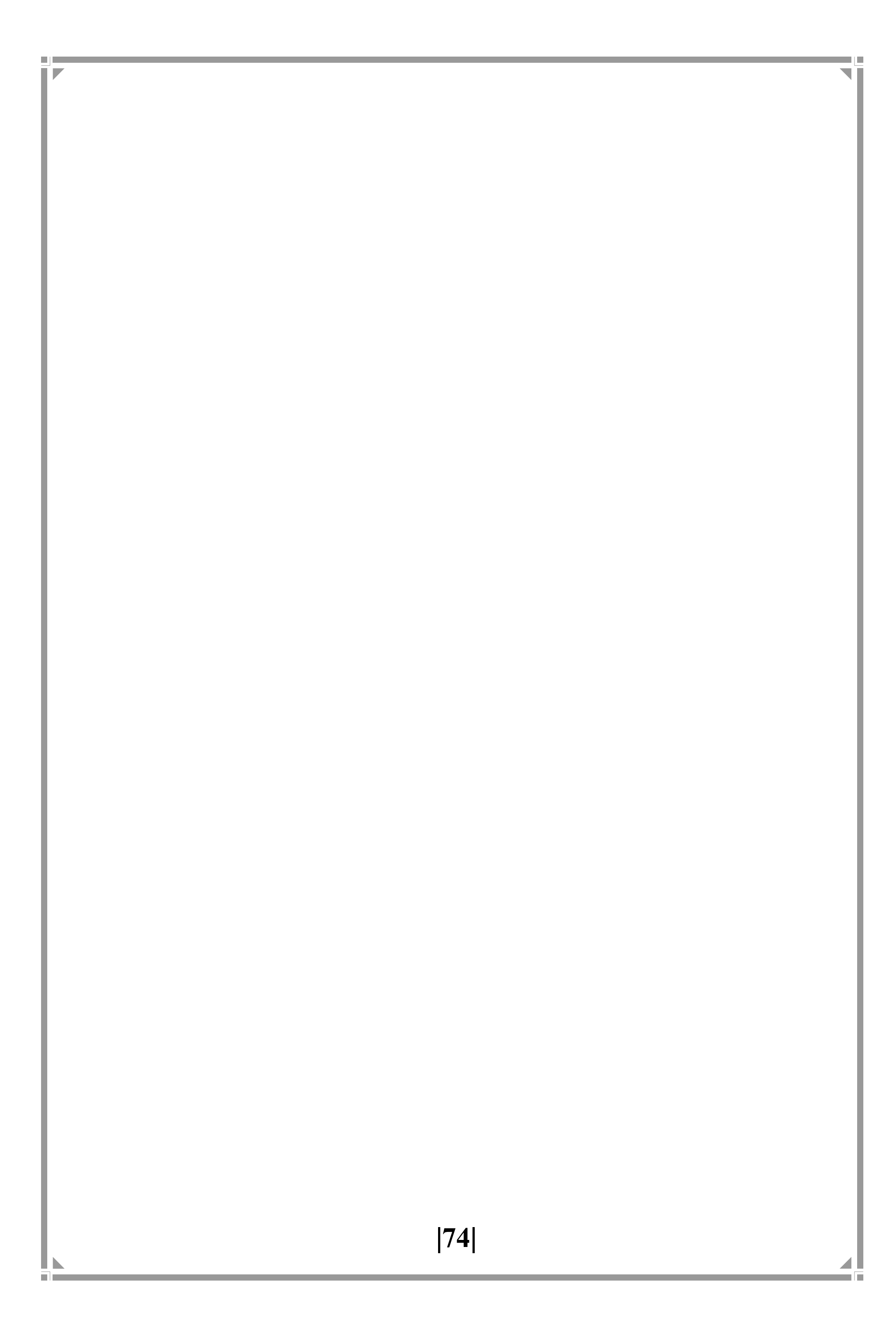
وبالعودة للاستقالة نجد في فحواها أسباباً تضفي بظلالها على ملامح أخرى من «العطب والتعسير داخل المؤسسة الأزهرية» يجب أن يتم طرحها ومناقشتها خلال الفترة المقبلة، لأن هؤلاء الأساتذة بكل درجاتهم سواء كانوا في المعاهد أو الكليات الأزهرية هم بمثابة الجنود الذين يجب أن يعول عليهم مشروع تطوير الخطاب الديني، خاصة أساتذة المعاهد الأزهرية لأنهم المكلفون الأوائل بتربية وتنشئة أبنائنا من الطلاب الأزهريين على أسس سماحة الدين، ونبذ العنف والاستغناء عن العنصرية والطائفية ومحاربة الفساد.

بعد مطالعتي للاستقالة وجدت نفسي أمام سؤال صعب، وهو: كيف لهذا المدرس أن يعلم التلاميذ والطلاب كل تلك القيم الدينية والإنسانية السمحة؟ وهو افتقدها في تعاملات رؤسائه معه! صحيح أن بعض العبارات التي وردت باستقالة الأستاذ حمادة فكري جاءت صعبة، ولكنني تعمدت عدم حذفها لأنها بمثابة صرخة قوية جاءت من داخل البيت، وشهادة غاية في الأهمية شهد بها واحد من داخل الأزهر نفسه، لذلك يجب مراجعة ومناقشة الكثير من الأمور التي تدور داخل أروقة وكواليس ودهاليز مجتمع «الجبة والقفطان».





على هامش الإخوان



ابن «آني».. وابن «الإخواني»

انتهيت مؤخراً من قراءة هادئة لرواية «ابن آني» للكاتب والسينارست والمخرج والمنتج والموسيقي والمفكر المصري «أحمد فؤاد درويش» التي صدرت عن سلسلة «إبداعات التفرغ» من المجلس الأعلى للثقافة، لقد فاض الرجل في تلك الرواية، التي وجدتها جديرة بالقراءة أكثر من مرة، بالكثير عن حقبة مهمة من تاريخنا المصري الفرعوني القديم، حيث جعل أحداث الرواية تدور في عام 1350 قبل الميلاد، وتحديداً في الفترة المفصلية «نهاية الأسرة الثامنة عشرة وبداية الأسرة التاسعة عشرة»، حيث كانت مهنة الكاتب هي الأرقى مدنياً، والكهانة هي الأرقى دينياً، والجيش يعلو الشرطة في الهيئة والمكانة. فشخوص الرواية ينتمون لعالم الواقع الحقيقي والأحداث أيضاً مع إضافة تفاصيل مختلفة، لم تبعد عن الواقع كثيراً وظفها درويش من أجل توضيح رسالته، ومغزاه من الرواية التي تدور أحداثها حول «آني» الذي شارك تلاميذه ومساعديه في كتابة بردية باسمه والتي نعرفها نحن الآن باسم «كتاب الموتى» وكان «آني» أحد كُتاب الملك، وكاتب القرابين المقدسة لكل الآلهة ولسادة طيبة، ومدير صوامع غلال سادة أبيدوس لما يتصف به من أمانة. والرواية في مجملها تعد صرخة مهمة طرحها «أحمد فؤاد درويش» الذي نعرفه جميعاً برائد الجيل الثالث في الأفلام

التسجيلية، وصاحب الرصيد الأكبر من تلك النوعية من الأفلام كتابة وإنتاجاً وإخراجاً حيث طرح فيها أدق التفاصيل في حياة الأسر الفرعونية منذ الأولى وحتى نهاية الأسرة الثانية والثلاثين، فتطرقت الرواية إلى وحدانية الإله عند بعض الأسر الفرعونية ونظرتهم له، وطرق معيشتهم وطقوسهم اليومية والاجتماعية، وعاداتهم، وتقاليدهم، وعلمهم الذي تفرّدوا به عن سائر الحضارات، وأيضاً طرحت الرواية بشكل بسيط يسهل استيعابه أدق تفاصيل وطقوس الموت، والدفن والحساب والنعيم والجحيم في مصر القديمة، تلك التي وجدت أن هناك أوجه تشابه كثيرة بين ما كانت تؤمن به الأسر الفرعونية أو تحديداً الأسرة الثامنة عشرة، والتاسعة عشرة التي تدور فيها تفاصيل وأحداث الرواية، وبين الدين الإسلامي الحنيف الذي هو قائم على وحدانية الله الذي لا شريك له.

وأيضاً توضح أحداث الرواية البديعة أن الكاتب «آني» كان شديد القلق على مستقبل ابنه الأوحد «خونسو حتيب» الذي كان محباً للفلسفة ومتمرداً على نفسه، وعلى تقاليد مجتمعه ومعادياً بحدة لطبقة الكهنة؛ الذين لا يهتمون إلا للتحايل في سبيل حفاظهم على مكانتهم ووجودهم، وتضخم ثرواتهم وتكريس غنائمهم. جسد ابن آني «خونسو حتيب» في تلك الرواية شريحة كبيرة ومهمة، ينتمي إليها الآن من الجيل المعاصر في 2015 ميلادياً طوائف مختلفة من الشعب المصري سواء كانوا مثقفين أو مفكرين أو كُتاباً أو حتى أناساً مدنيين طبيعيين، يمارسون روتين الحياة اليومي، فنجده طوال أحداث الرواية يكافح ليحرر المصريين ممن يستغلون الدين للسيطرة من أجل ترسيخ حكم الكهنوت والسمع والطاعة.

وتطرق «درويش» إلى جذور لب القضية المعاصرة «الكهنة والحكم واستغلال الدين» بأسلوبه البديع في جزء من روايته وجدته مهماً للغاية وتحديداً في «صفحة 123»، وأثناء الحوار الذي كان بكامله مهماً وجديراً بأن يطالعه الجميع الذي يتبادله الكاتب «آني» وزوجته «توتو» حيث قال لها: «إذا قامت دولة الكهنة، وأصبحوا هم فراعنة مصر، وقضوا على أفكار التنوير وسلطة العقل، وآمال الأهالي في إعادة توزيع ثروة مصر بطريقة عادلة، فلن يتركوا الحكم إلا على مومياواتهم، والأمر يحتاج آنذاك للآلاف من الصفوة المفكرين مثل ابنك "خونسو حتيب» وبالفعل تحقق بعد ذلك ما قاله «آني» تحديداً في الأسرة الفرعونية «الحادية والعشرين» التي سيطر عليها الكهنة وحكموها، وهنا ضعفت الدولة المصرية وتوالى عليها الغزاة والمحتلون إلى حكم الإغريق البطالمة والرومان.

لقد وجدت في الحديث سابق الذكر لـ«آني» أنني أمام حالة تلبس ومعايشة لما تنبأ به حيث بالفعل: ضعفت الدولة المصرية، وكادت تسقط بوصول ابن الإخواني «محمد مرسي» وجماعته «الكهنة» للحكم، مستغلين الدين للتأثير والسيطرة على المصريين، وبالفعل حاولت الجماعة الإرهابية القضاء على أفكار التنوير وآمال الشعب المصري في إعادة توزيع الثروة، وهنا أجد أن شبح التاريخ ولعنته تطاردنا، وأجد أننا يجب أن نقرأ ونقرأ ونقرأ من أجل أن نتعلم ونعلم الأجيال، كيف يواجهون الكهنة حالياً ومستقبلاً.

عاجل على مكتب الرئيس

المحاولات المستمرة من التيارات الإرهابية لاختراق المجتمع المصري، ومحاولة تحطيم وحدته، وتكاتفه وثباته، تبوء جميعها بالفشل، وكان واضحاً جلياً آخر تلك المحاولات من قبل تنظيم أنصار بيت المقدس الإرهابي، الذي أصبح تابعاً أميناً لتنظيم من يطلقون على أنفسهم الدولة الإسلامية «داعش» الذي أسفر عن تفجير مجموعة من الكمائن، والنقاط الأمنية في سيناء خلال الأيام الماضية، وتصدى لهم أفراد وضباط الجيش المصري بكل بسالة وافتداء، وكان الهدف الرئيس من وراء ذلك هو إلحاق مصر بفرق الدول التي «سقطت» في أيادي المتطرفين، بإعلان الشيخ زويد إمارة إسلامية ورفع أعلامهم عليها، لتكون بؤرة جذب وإيواء لأفراد تلك الشراذم من شتى بقاع الأرض، وتتحول إلى شوكة في ظهر الدولة المصرية، وسبب لإعادة غزو أراضى سيناء من قبل المهزومين من العدوان القريب، والبعيد جغرافياً.

ونعلل من ذلك أن سيناريو تقسيم مصر ما زال يسيطر على أحلام البعض ممن يظهرون لنا تحت أي مظلة، والحاملين لأي اسم كان، ولذلك الذي يجب أن نعمل على دراسته الآن وبأقصى سرعة، ويجب أيضاً أن يكون هو الملف العاجل على مكتب الرئيس عبد الفتاح السيسي؛ حتى لا تسقط الدولة فيما

يخطط لها هو كيفية قيام تلك العناصر بالتجمع، والتنسيق والتسليح والتحرك والتنفيذ! وصحيح أن الدولة تصدت لمحاولاتهم، وألحقت بهم الخسائر وما زالت تعمل على مطاردتهم ولكن كان يجب على الدولة أن تكون على علم بأدق التفاصيل السابقة، وإحباط كل ما يجري لنتفادى سقوط المزيد من الجرحى والشهداء من أبنائنا على أرض سيناء.

وما حدث يوضح لنا أن «داعش وأنصار بيت المقدس» وما بينهما من مجموعات، وتيارات الإسلام الراديكالى التي تعتمد نفس الفكر المتطرف الذي شرعه في ستينات القرن الماضي «سيد قطب بقسمه المجتمع للكفر والإيمان»، استطاعت اختراق ثغرات تغافلت عن سدها الإدارة الأمنية للدولة المصرية، وبالتأكيد أن جانباً من تلك الثغرات يمثل نسبة البطالة التي أصبحت مرتفعة بين شباب أهالينا في سيناء، خاصة بعد تهجير مئات الأسر من الشريط الحدودي وهدم ما فيه من منازل، وأيضاً هدم المئات من الأنفاق التى كانت تدر دخلاً كبيراً للبعض، وطرحي لذلك ليس تبريراً لمنطق الإرهاب أو مطالبة الدولة بعدم تطبيق القانون على أراضيها، ولكن كان يجب على الرئيس عبد الفتاح السيسي ورئيس الحكومة المهندس إبراهيم محلب، بحث ودراسة معاناة تلك الأسر وشباب سيناء، ومحاولة سد ثغرات يمكن أن يتسرب منها الإرهاب الذي يقف على الشريط الحدودي لمصر مدعوماً من أجهزة استخباراتية عالمية، وترسانة من الأسلحة الخفيفة والثقيلة، وأموالاً تستطيع شراء بعض النفوس الضعيفة دينياً واجتماعياً ووطنياً.

وبالتالي فالعقلية الأمنية للدولة المصرية تحتاج إلى تنشيط مكثف لأجهزة المعلومات؛ التي على ما يبدو أنها أصيبت بالتخمة، فتركت أيضاً تنظيم داعش الإرهابي ومن بايعوه من التنظيمات الأخرى، يعمل على تجنيد المفصولين من رجال القوات المسلحة المصرية ليكونوا ضمن أخطر الأدوات التي يستخدمها هؤلاء التكفيريون لضمان أعلى نسب نجاح لخطط وعمليات الإرهاب التي نفذوا بعضها، والدليل على ذلك نجاحهم في اغتيال النائب العام «هشام بركات» عن طريق «هشام عشماوي» الذي قيل: أنه العقل المدبر لحادث الاغتيال، وقيل أيضاً: أن سبب حظر النشر في القضية هو كونه ضابط جيش سابقاً. وربما تكون ظاهرة الإنكار. وعدم الحرية في تداول المعلومات التي على ما يبدو أن العقلية الأمنية لم تتخلص من منهجية تطبيقها «حتى بعد ثورتين» سبباً رئيسياً في سقوط المزيد من الشهداء من أبنائنا في الأجهزة الأمنية المختلفة، خاصة بعد استغلال الدولة لكل ما يجري؛ لمحاولة وضع قيود جديدة وظالمة على حرية الصحافة والإعلام بما ورد بشأنها في بنود قانون الإرهاب الجديد المخالف للدستور فيما يخص الصحافة والإعلام، والذي لن يخدم إلا صالح الإرهاب فقط.

العيد المفخخ وشمال سيناء

«بأيّةِ حالٍ عُدتَ يا عيدُ، بمَا مَضَى أمْ بأمْرٍ فيكَ تجْديدُ»، هكذا كتب المتنبي في العصر العباسي، وهكذا نستدعي واحداً من أهم أبيات أشعاره للتعبير عن عيدنا المفخخ «بالأحزان والدماء وطعم البارود» في العصر الحالي.

وحتى لا يأتي عيد العام المقبل محملاً بما مضى، يجب أن نسلط الضوء على شمال سيناء التي وقعت فيها خلال الفترة الماضية مجموعة بشعة من المجازر تسببت في الحزن: الذي ملأ منازل رجال الجيش، والشرطة والمدنيين أيضاً، الكثيرون منا الآن يمرحون، ويضحكون، وهناك بيننا الأمهات الثكالى على فلذات أكبادهن، وأيضاً الزوجات، والأبناء الذين فقدوا فرحة اللقاء.

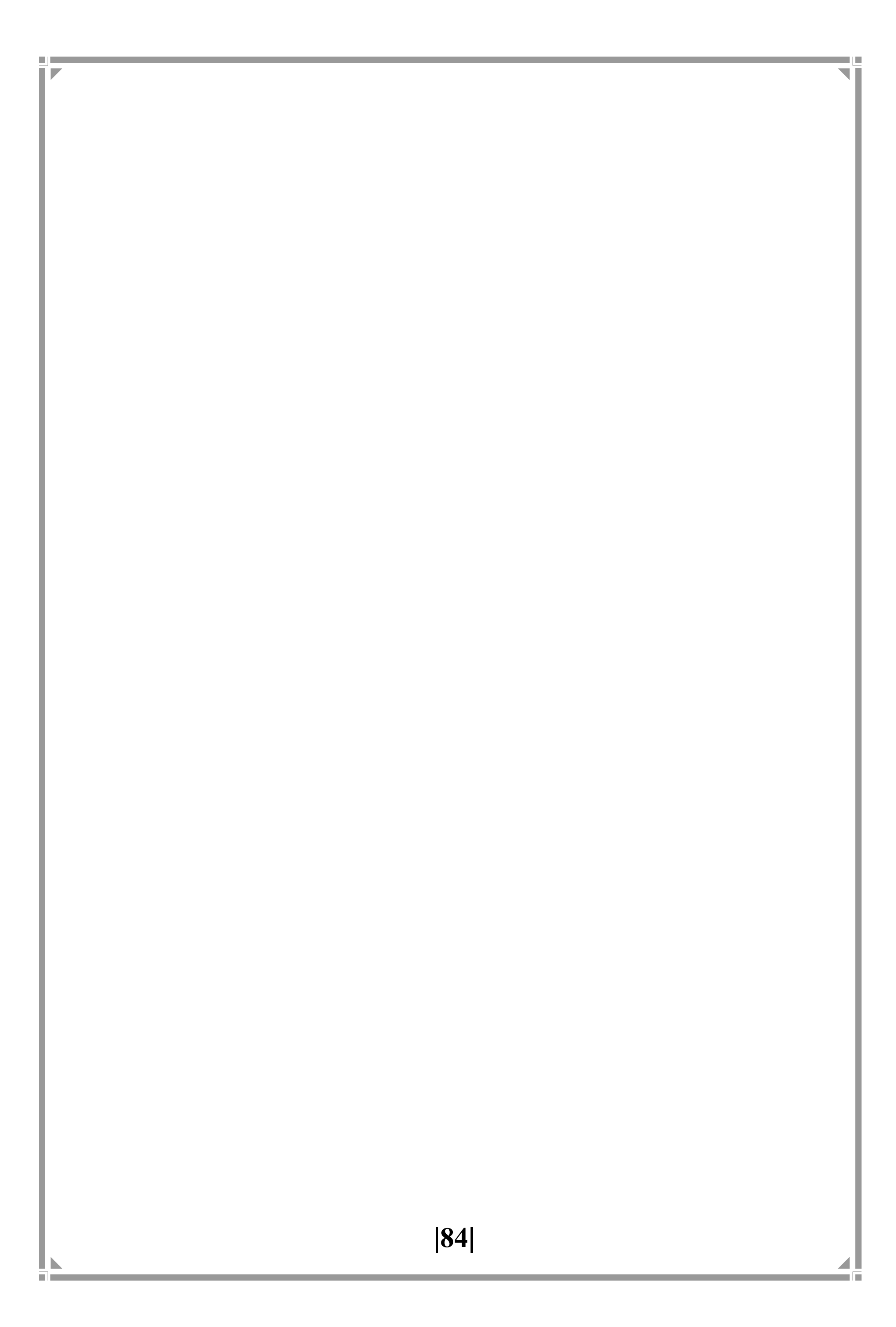
ولذلك أوجه ما أكتب للرئيس السيسي لكونه المفوض والمنتخب لرد الحق لأصحابه، وإعادة الاستقرار لوطننا، يجب عليه أن يمسح بيده على مراكز الأبحاث الاستخباراتية الوطنية والقومية والجنائية؛ليخرج منها آلاف من الدراسات «لتنفيذها» تلك التي أشرف عليها الكبار من الأساتذة المتخصصين لإعادة تأهيل شمال سيناء،أرض الصراع الدائم للسيطرة على مقدرات الدولة المصرية. وعلى الوعي الجمعي المصري، أن يعي جيداً ما يحدث بـ «شمال سيناء» حيث يحاول البعض دغدغت مشاعر

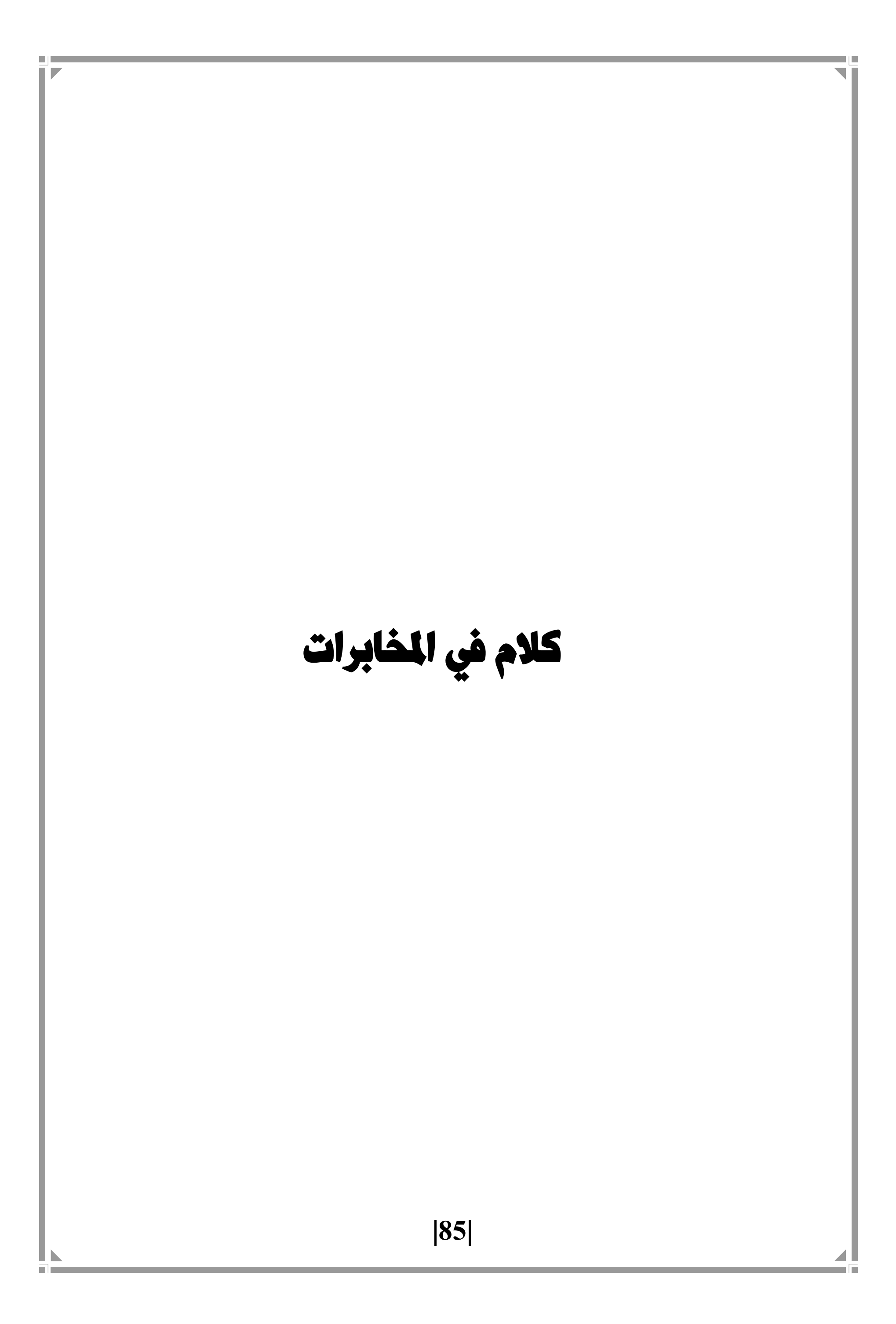
أبنائها بسنوات طويلة من التهميش، والتعامل بحذر من قبل الدولة من أجل كسب ثقتهم وكسب ولائهم، أهالينا في سيناء بشكل عام، وشمالها بشكل خاص، منذ القدم يواجهون كل طامع وغازٍ وخرج من بينهم الأبطال في كل المراحل ليكونوا خير شواهد على وطنيتهم، ولكن ما زال البعض منا يصرُّ على تخوينهم وزعزعة الثقة في ولائهم، ما زال البعض منا يصرُّ على أنهم قبائل بدو رحل ليس لهم ولاء للأرض، رغم أنهم قدموا كثيراً...شهادات وتضحيات؛ تؤكد إيمانهم بالأرض والحدود المصرية، وأبسط مثال لذلك «منظمة سيناء العربية» التي تكونت بعد الاحتلال، والتي قامت بالعديد من العمليات الفدائية لاستنزاف العدو الإسرائيلي وقدمت شهداء كان من بينهم «مصطفى أبوهاشم، وسعيد البشتلى، وإبراهيم سليمان، وفايز حافظ أمين، وأشرف عبدالدايم.. إلخ».

ما بعد حكم السادات واستعادة كامل الأرض كان يجب العمل بشكل جاد وحقيقي لدمج أهالينا من أبناء القبائل المختلفة بشمال سيناء داخل المجتمع المصري، خاصة وهم وحدهم تحملوا عناء المعايشة مع العدو الإسرائيلي جيشاً وشعباً لسنوات طويلة، وبشكل خاص الدمج والاستهداف لأطفال سيناء «حينذاك» لأنهم الجيل الذي ستؤول له السيطرة على القبائل والعائلات في المستقبل الذي وصلنا إليه الآن «دون سيطرة من الدولة» وأصبح بالفعل أطفال الثمانينات هم الذين يحكمون، ولكن للأسف الدولة لم تستعن بنظرية دمج المجموعات القبلية وهي إحدى أدوات علم الاجتماع السياسي والمجتمعي مما تسبب في حالة من الفتور بين شمال سيناء والدولة.

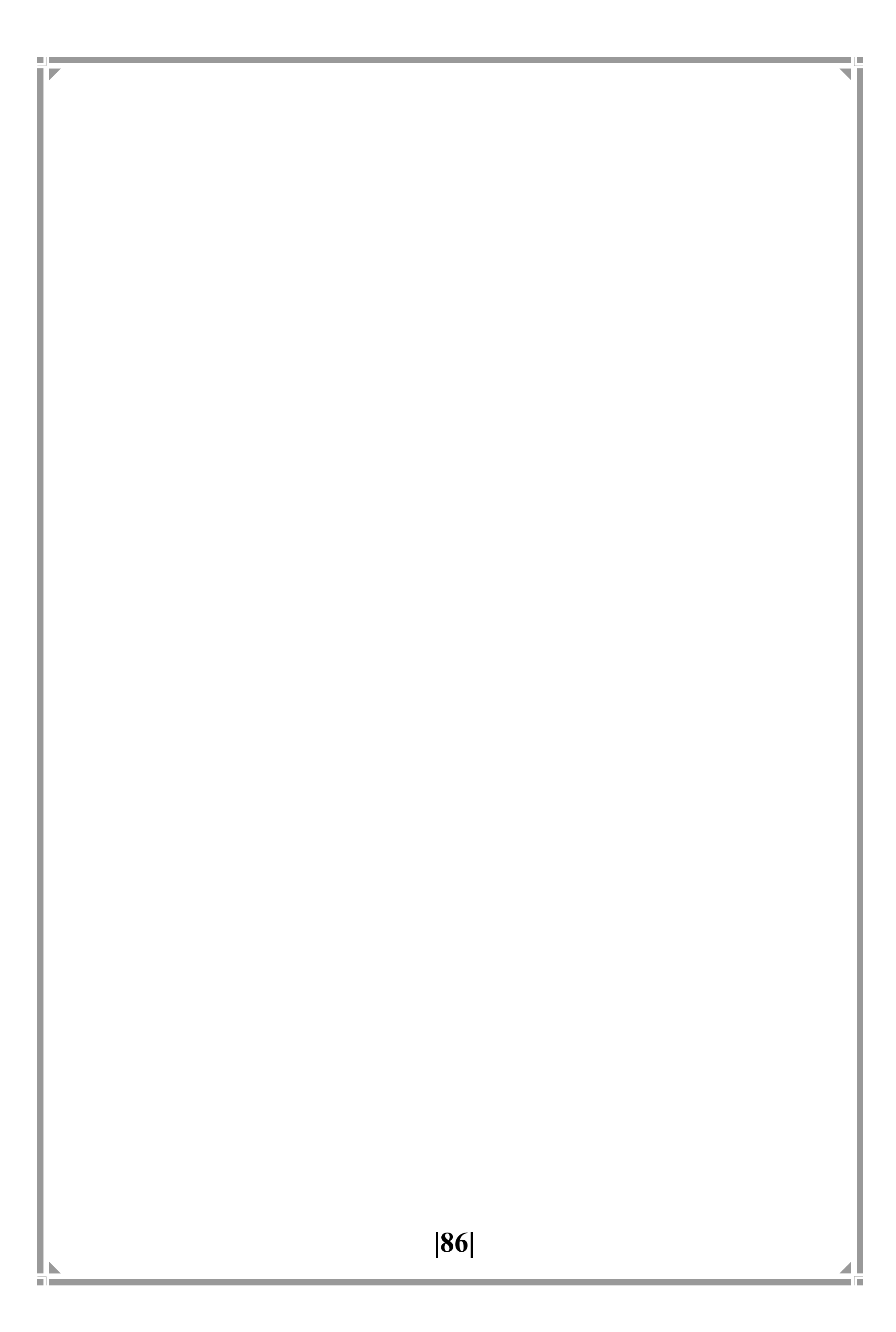
ولكي لا نقع في نفس الحفر والمستنقعات مستقبلاً، يجب على الدولة أن تزيل التراب عن أبحاثها وتستعين بخبرات مفكريها «وما أكثرهم» لكي يتم تطوير تلك المنطقة وتأهيلها لمواجهة الخطر الحالي والمستقبلي، لا يجب أن نستمع بعد اليوم إلى أصوات التقليل من وطنية أهالينا في سيناء والتي كانت إحداها سبباً، لكي أكتب ما تقرؤون الآن، حيث قالها بالفم المليان: «خونة وعملاء ومتآمرون» ذكرت له أن معظم أطراف الدولة المصرية مهددة بسبب تلك العبارات غير المدروسة أو مسئولة، لأن كل مجتمع يحمل في طياته الخير والشر، وأكدت أيضاً لصوت الفتنة؛ أن أهم قواعد التمهيد للحروب الأهلية لتفتيت المجتمعات المتماسكة، مثل مجتمعنا المصري «التخفي وراء مشكلات دينية وعرقية وجغرافية».

ولكن للأسف بعض تلك الأصوات تجد مساحة ضخمة للظهور، واللعب بوحدة قلب المجتمع، وأطرافه، وتتسبب في غليان النفوس، وتمردها في ظل ما نعانيه سياسياً واقتصادياً ومجتمعياً، لذلك أتوقع أن تواجه الدولة المزيد من الضغوط من أجل تعديل المسار وتقويمها، وسيواجه الرئيس السيسي المزيد من الأزمات؛ التي أصبحت قدرة، ولكنه لا يجب أن يتخلى عن مسئولياته في مواجهتها بالاستعداد لها قبل أن تنشأ وتجهيز حلولها من واقع أزمات عايشناها في السابق.





كلام في المخابرات



أحضان الرأي العام

بمطالعة كتاب «كل رجال الباشا» للدكتور خالد فهمي سنجد محمد علي باشا خطّط لبناء الجيش المصري لتعتمد عليه الحدود الناطقة باللغة المشتركة «العربية» في الحماية والردع، وسنتعرف على أن الجيش المصري تم تكوينه من الفلاحين المصريين الأصليين وتحديداً «أهل الصعيد» بعد فشل كل المحاولات ليكون عتاده من الأفارقة أو الألبان أو الأتراك، وحتى بعد أن وفد عليه مختلف الجنسيات السابقة، لم تستمر وانصهرت أجزاء منها بداخله، ورحلت البقية مع سقوط الدولة العلوية ورحيل الاحتلال البريطاني.

لذلك فالجيش المصري ضارب بجذوره في عمق التربة المصرية وولاؤه دائماً للشعب، وضمن آليات العمل بداخله إطاعة أوامر القيادات طبقاً للقاعدة التي تقول: «أطع أوامر قياداتك حتى وإن كانت خطأ ثم تقدم للتظلم منها»، على عكس ما ذكره اللواء «وليد النمر»، القيادى السابق بجهاز المخابرات الحربية، حيث استطاعات الزميلة المتميزة «منى مدكور» محاورته على صفحات جريدة «الوطن» فقال النمر: «الجيش ليست له علاقة بمن يجلس على كرسي الحكم»، ضارباً بتلك الجملة واحدة من سلطات الرئيس السيسي لكونه «رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة».

حوار الرجل يُعدُّ صدمة كبرى لطرحه معلومات تضع الكثير من الأجهزة الأمنية المصرية في حرج شديد، خاصة مع الضغوط التي تتعرض لها الدولة المصرية، حيث قال الرجل المخابراتي وكأنه يطعن في عمل الجهاز الذي كان ينتمي إليه، بالإضافة إلى المخابرات العامة، وأجهزة أمنية أخرى «مراكز وزارة الشباب والرياضة كانت تُستخدم لاستقطاب الشباب للانضمام لجماعة الإخوان منذ أيام حسني مبارك»، والعبارة السابقة ضمن دلالاتها أن المخابرات تركت الجماعة الإرهابية تجند الشباب دون التدخل لحمايتهم وحماية الوطن واكتفت برصد ومشاهدة ما يجري طوال سنوات، وبالتالي فهي ضمن أسباب الكوارث التي وصلنا إليها الآن. وذكر أيضاً اللواء وليد النمر طاعناً في عرض الحركات الثورية، رغم أن تلك الحركات ومنها الأحزاب السياسية تحملت لسنوات عبء مواجهة نظام مبارك والإخوان، وفضحت مشروع التوريث، فقال النمر متجاهلاً تاريخها النضالي: «من تحت الترابيزة، وبعد إعلان نتائج الانتخابات البرلمانية 2010 الإخوان قاموا بدفع الحركات الثورية ثم نزلوا بعد تأكدهم من اشتعال الفتيل»، في إشارة منه لتعاونهم مع الجماعة الإرهابية، ولكن الأغرب هو عدم رد الحركات والأحزاب للدفاع عن أنفسهم.

وعندما واجهته الزميلة «منى مدكور» بالسؤال عن قاتلي الثوار في الميدان، ردد رجل المخابرات، الذي من المفترض أنه العارف بالمعلومات الحقيقية، ما يردده الإعلام ورجل الشارع العادي بأنهم «قناصة مدربون تسللوا إلى الوطن عبر أنفاق سيناء لأن البلاد كانت مهلهلة ولا وجود أمنياً من الداخلية،

والجيش مشغول بتأمين المنشآت والميادين»، مع العلم أن رجال الجيش كانوا مشغولين بتأمين حياة المواطنين لا المنشآت والميادين فقط كما ذكر سيادة اللواء.

وأيضاً يجب هنا طرح السؤال: أين كان جهاز المخابرات الحربية الذي يتبع له سيادة اللواء من معرفة هوية رجال القناصة؟ وذلك لأنه قال في حواره: «اختفوا وسط زحام الأحداث وهربوا مرة أخرى عن طريق الأنفاق إلى خارج مصر»، مع العلم بأنه هو نفسه الذي قال أيضاً في بداية الحوار: «جهاز المخابرات الحربية لم يفاجأ بثورة 25 يناير، وكنا نرفع تقارير منذ أحداث اعتصامات المحلة ومجلس الوزراء بالأيام والشهور»، مما يدلل على أن المخابرات كانت ترصد كل ما يدور ويجري، وبالتالي فمن المستحيل أن يكون رجال القناصة اختفوا عنها وسط الزحام، وإلا كيف عرف هو أنهم استطاعوا الهرب إلى خارج مصر كما ذكر؟! الكثير من المعلومات في حوار اللواء «وليد النمر» جعل من أسرار المخابرات التي تتعلق بالأمن القومي «مستباحة»، خاصة أن حواره تطرق لتأكيده نجاح الفريق أحمد شفيق في انتخابات الرئاسة، رغم أن الأمر ما زال يُنظر قضائياً، وأيضاً كشفه وجود قضية «خيانة وتمويل وتخابر تحمل رقم 250» وأن ضمن المتورطين فيها إعلاميون وسياسيون، مما يفتح الباب مرة أخرى أمام موجة التخوين الكبرى. وأنتهي هنا إلى أن الغموض والسرية اللذين كانا دائماً يحيطان برجال المخابرات «كُسرا»، وأن البعض منهم الآن أصبح يُلقي بنفسه في أحضان الرأي العام دون أن يبالي مخاطر ما يصرّح به من معلومات، بالتأكيد لن يستفيد منها في النهاية إلا كل عدو لوطننا.

زلطة وشرطة وكمين

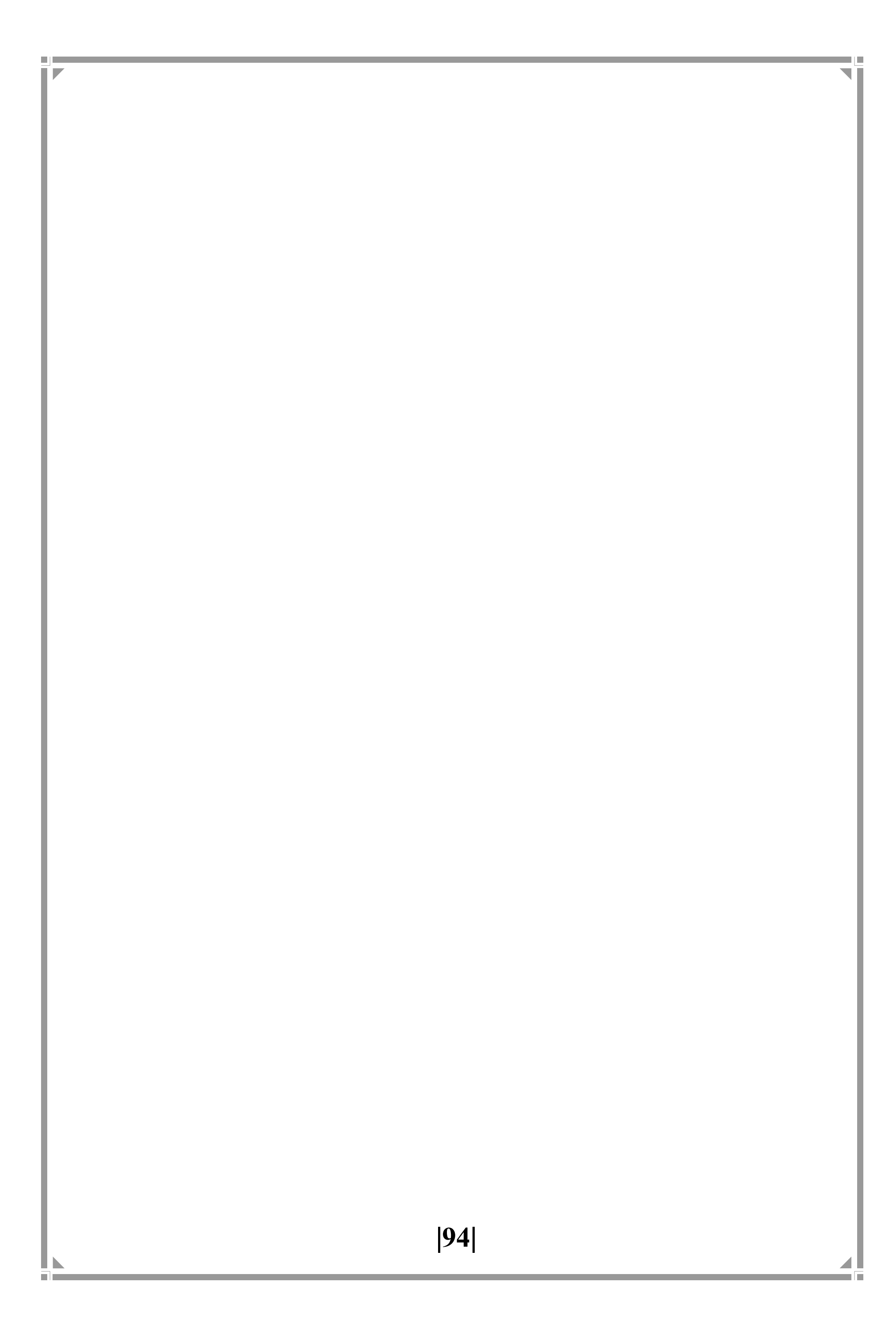
«كنت أنا وواحد صاحبي بالعربية وكان معايا (زلطة رخام) حصلت عليها تذكار من أصحابي بالخارج، وللأسف الشديد كنت وضعتها في باب العربية، المهم استوقفنا أحد الضباط في (كمين السلام) وبعد الاطلاع على الرخص سألنا: إنتوا منين ورايحين فين وبتشتغلوا إيه؟ فقلت له أنا دكتور بشري وصاحبي المرافق لي مهندس، فقال الضابط: معاكوا حاجة (مخدرات)، فضحكت قائلاً: لا يا باشا ممعاناش، فقال الضابط: اركن هنفتش!، وبعد التفتيش الدقيق للعربية والتفتيش الذاتي لنا لدرجة أنه قلعني الجزمة وحسس على الشراب وجد معي، فلوس عادية زي كل الناس. فسأل: فلوس إيه وجايبها منين وهعمل بيها إيه؟! مع العلم أننا أثناء كل ما يجري نضحك مما يحدث ونجيب عليه بحسن نية، واستغرق الأمر ما يقرب من ربع ساعة، لكن كل اللي فات كوم واللي جاي كوم تاني، حيث قال الضابط: إيه دي؟، أنا: دي زلطة يا باشا!، الضابط: أيوه يعني إيه دي وبتعمل إيه معاك؟، أنا: زلطة يا باشا كنت واخدها (سوفنير) من ناس أصحابي لما كنت مسافر بالخارج، الضابط: أيوه إيه دي ويعني إيه (سوفنير) وتاخد زلطة منهم ليه؟، أنا: يعني تذكار حضرتك عشان لما أقابلهم تاني إن شاء الله، الضابط: أيوه يعني الزلطة هتعمل إيه لما تقابلهم

تاني؟، أنا: عادى يا باشا لما أشوفها بفتكرهم وكده يعني، وجدت الضابط بدأ يجري فحصاً للزلطة ويشمها ويفركها ثم قال: طيب، وتركني وذهب لتفتيش سيارة أخرى، وبعد ربع ساعة لم نتحمل وذهبنا نقول له: يا باشا هو مش خلاص حضرتك ملقتش حاجة...ممكن نمشي!، الضابط: أيوه بس إيه دي بقى؟!، أنا: يا باشا والله العظيم زلطة!. فتركنا الضابط مرة أخرى وتوجه إلى ترابيزة بجانب من الكمين تحت شجرة يجلس عليها خمسة أشخاص كبار في السن وجميعهم رتب مختلفة بالداخلية (لواء وعميد وعقيد) ووسط ترقب منا وجدته يتحدث معهم، ويعطيهم الزلطة وكل شخص منهم يشاهد الزلطة ويباصيها لمن يجلس بجواره ليشاهدها ويفحصها، وأنا أشاهد الموقف، وأحدث نفسي بأني رحت في داهية بسبب زلطة، وبعد ذلك أشاروا لنا بالذهاب إليهم وذهبنا لأننا لم يكن أمامنا خيار آخر... اللواء: إيه دي يا ابني؟، أنا: دي زلطة يا باشا، اللواء: أيوه بتعمل بيها إيه إنت شغال إيه؟، أنا: دي تذكار يا فندم من ناس أصحابى وأنا دكتور بشري، اللواء: وجيبتها منين، وإزاى إنت دكتور ومش عارف إيه دي؟، أنا: اللي ادهالي كان جابهالي من على البحر، ودى زلطة عادية والله، اللواء: بذمتك الزلط على البحر بيبقى شكله كده!، أنا (ضاحكاً): يا باشا وأنا أعرف منين مفروض يكون عامل إزاي، ثم دي والله العظيم زلطة يا باشا، اللواء: طب هي دي مش شبة؟، أنا: إيه شبة دي يا باشا أنا ماعرفهاش والله!، اللواء: طب أنا لو ولعت فيها مش هيحصل حاجة!، أنا (أشعل الولاعة وأقربها من الزلطة): ولع يا باشا مش هيحصل حاجة، اللواء (بتوتر

وجدية): وقف النار إوعى تفرقع في وشنا، أنا: لا يا باشا مش هتفرقع وأنا جنبك لو فرقعت هموت معاكو، اللواء: طب إنت إيه رأيك في المؤتمر بتاع السيسي؟!، أنا: زي الفل يا باشا ربنا يوفقه، اللواء للضابط: خلاص سيبهم يمشوا، وأعطاني اللواء الزلطة وتركونا نذهب بعد ساعة من وقت ما دخلنا الكمين، وكنت ممكن أروح في داهية عشان زلطة». الرواية السابقة تعرض لها أحد المواطنين الشرفاء وكتبها على صفحته بالفيس بوك، ولذلك تواصلت معه للتأكد من صحتها، ووجدتها جديرة بالنشر لأنها ليست مجرد واقعة فردية بل تحمل بواطنها مشكلات كبرى في العقلية والكيفية التي تدير الجهاز الأمني في مصر الآن، وأيضاً كتبتها لعل «البلدوزر» إبراهيم محلب رئيس الوزراء يعلم أن الشرطة التي تتحمل مسئولية فاقت قدرتها وقوتها، وأيضاً تتحمل جزءاً كبيراً من التقصير الأمني في حماية النائب العام الراحل «هشام بركات»، ترتعد وتعيش مأساة «زلطة» في الكمين.



كلام في الكعب العالي



«وزارة العدل» في طريق الأذى

عنوان هذا المقال هو اقتباس من كتاب قيم وجدير بالمطالعة حيث يوثق بداخله زميل الصحافة والإعلامي المرموق «يسري فودة» تجربتين في غاية الأهمية من مغامراته المتنوعة «القاتلة» في الصحافة التليفزيونية وتحديداً «الاستقصائية»، وسبق وقدمهما في حلقات على قناة «الجزيرة الوثائقية».

وجدت العنوان هو أفضل توصيف للحالة التي تمر بها وزارة العدل بعد إقالة وزيرها السابق لتصريحه المهين لطوائف الشعب الدنيا والذي أصاب منها في مقتل «عمال النظافة»، وأيضاً ما انتهت إليه الوزارة بتعيين المستشار «أحمد الزند» وزيراً للعدل.

لقد اشتعلت وسائل التواصل الاجتماعى بمختلف أنواعها بسبب اختيار «الزند» للمنصب، وأخرجت له التصريحات الصحفية والتليفزيونية التي كانت في أحيان كثيرة جداً مستفزة وتحمل من التعالي والغرور ما يجعل الكثيرين يصفون مشاعرهم بـ«الغثيان»، ومن بين ما أُخرِج له تصريحه في برنامج «مصر اليوم» مع الإعلامي توفيق عكاشة «نحن أسياد وما دوننا عبيد» وقصد هنا بكلمة «نحن» أي «القضاء والقضاة» ولأنني حسن النية ولا أتعامل مع الأمور بظواهرها فقد تفهمت ثورة الرجل آنذاك، فكانت بسبب الضغوط الشديدة التي تعرض لها

الرجل بشكل شخصي والقضاء المصري بشكل عام من قبل الجماعة الإرهابية وحواريها.

ومع كامل احترامي للمستشار الزند وتقديري الشديد للدور الإيجابي الذي قام به في ثورة 30 يونيو، فالأمر لم يكن صحيحاً «من وجهة نظري» والقرار بتعيينه وزيراً للعدل لم يكن موفقاً، ولديَّ أسبابي التي دفعتني لمعارضة هذا القرار، وأهمها ما عرف عن الزند «سريع الغضب، يحمل حمية غير متزنة أو رصينة أو عادلة لصالح القضاء والقضاة» حتى أن البعض يقرنه دائماً بالمستشار السابق والمحامى الحالي «مرتضى منصور» كنوع من الدلالة على الطباع والمزاج الانفعالي والمتقلب. منصب وزير العدل لا بد أن يتولاه شخص هادئ الطباع ويحمل فطنة وحكمة في اتخاذ قراراته التي تمس طوائف الشعب المصري كله «وليس القضاة فقط»، يجب أن يتولى المنصب الذي حمل اسم «العدل» وهو من أسماء الله الحسنى التي ندعوه بها، شخص لم يعرف عنه «شيفونزمية» في غيرته على القضاء، بل لا بد أن يتمتع بتلك الصفة للغيرة على الشعب المصري بكل فئاته وطوائفه، الشعب الذي يعمل هو ونعمل نحن جميعاً من أجل خدمته وتيسير حياته اليومية، مع العلم بأنه الشعب الذي لم ينحَز له شخص بصدق سوى الزعيم الخالد جمال عبد الناصر.

وحقيقة ما يجري يدفعنا إلى مطالبة المهندس «إبراهيم محلب» رئيس الوزراء بأن يطلعنا على المعايير التي على أساسها يقوم باختيار وزرائه، لأن الأمر أصبح يفوق القدرة على المعايشة

أو «الصهينة»، فكان هو «محلب» نفسه الذي اختار لنا من قبل المستشار «محفوظ صابر» وزير العدل «المُقال» رغم الحالة الصحية التي كان يعانيها الرجل «ويعلمها الجميع» وكانت جديرة بأن تحول بينه وبين المنصب وربما يكون تصريحه الذي أثار الجدل بسبب تلك الحالة، وللعلم فقط تسببت علله الصحية في عدم إدارته للوزارة منذ اليوم الأول لتعيينه، وهذا يدعوني لطرح سؤالين وهما: هل كان «محلب» يعلم كل ما سبق عن وزيره المقال أم لا؟، وهل قرار تعيين أحمد الزند بمثابة صفقة لإرضاء قيادات ورموز القضاء الذين ربما شعروا بالإهانة لإقالة وزيرهم بطريقة مفاجئة إرضاءً للشعب؟ والإجابة مطروحة فقط للمعنيّ بالسؤال. في النهاية يجب أن يعلم المهندس «محلب» والرئيس «السيسي» أن الشعب المصري أصبح مستفزاً بطبيعته التي تبدلت للأسوأ منذ ثورة 25 يناير، فلابد أن تعمل الحكومة والرئاسة على عدم استفزاز الشعب بشكل أكبر، وأن يعلما أيضاً أن وزارة العدل بهذه الاختيارات السابقة والحالية، تثير أزمة لن تحيدها أبداً عن السير في طريق الأذى.

الشعب على راسه ريشة

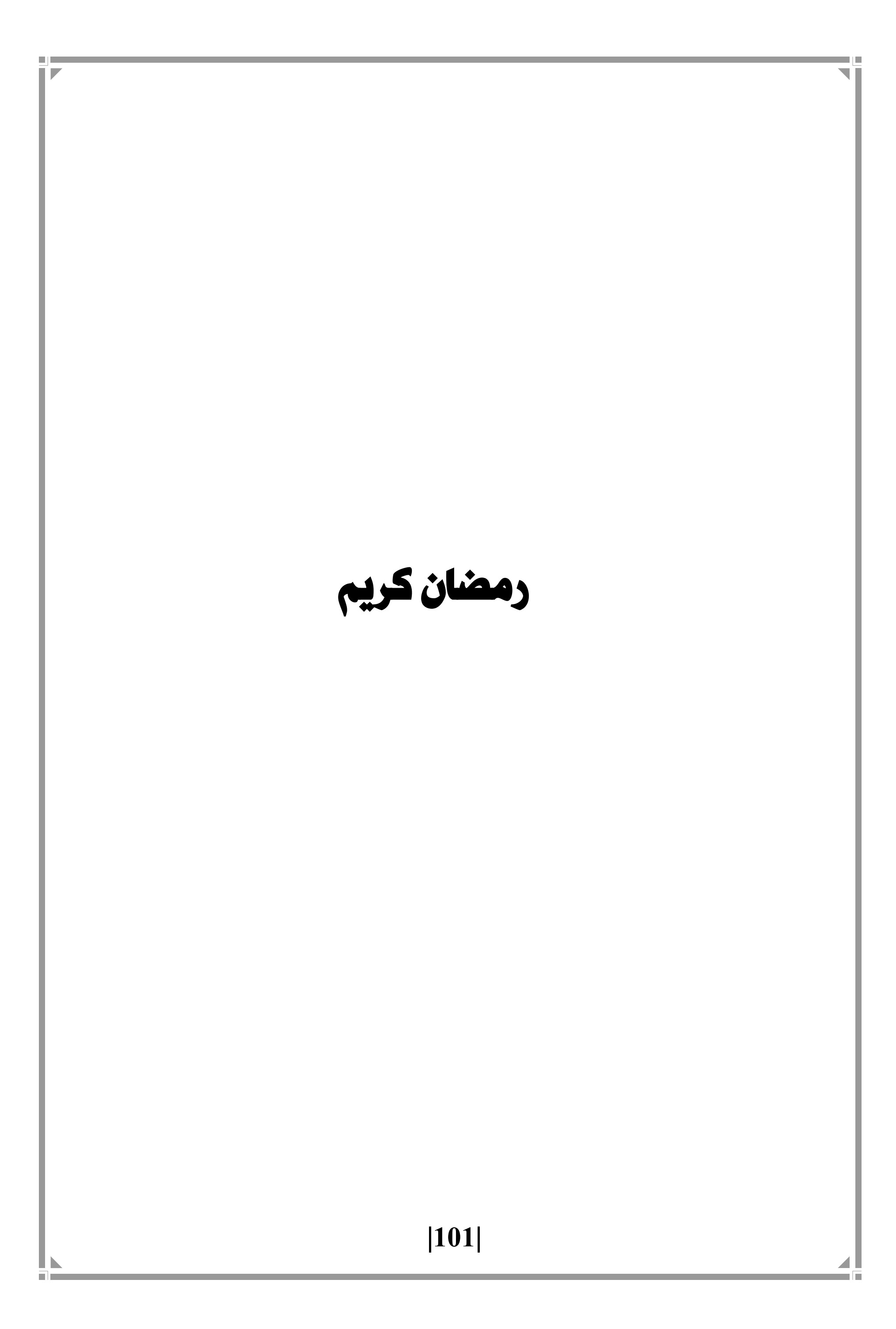
نفس الفهم والطريقة في التعبير، إنها الحالة التي لم تتبدل، والظروف التي عادت إلى ما كانت عليه، إنها وللأسف الأيام التي نعيشها الآن، نوع جديد من العبثية والغوغائية.

في بعض الأحيان «نظن» في الأشياء والأمور والتصرفات والتصريحات في ليالينا الظلماء الكالحة هذه، لكن للظن أن يستحي قليلاً لما قاله سيادة المستشار السابق والمحامي الحالي «مرتضى منصور» بأن القضاء في مصر «على راسه ريشه»، حقيقة لقد أصبحت الرؤوس التي تحمل الريش الآن كثيرة جداً في مصر «الجيش والشرطة والصحافة»، وجهات أخرى ومهن كثيرة ما زالت طامحة في الحصول على الريش التي تزين رأسها ويجعلها تعلو فوق الشعب الذي جاءت من أجل خدمته.

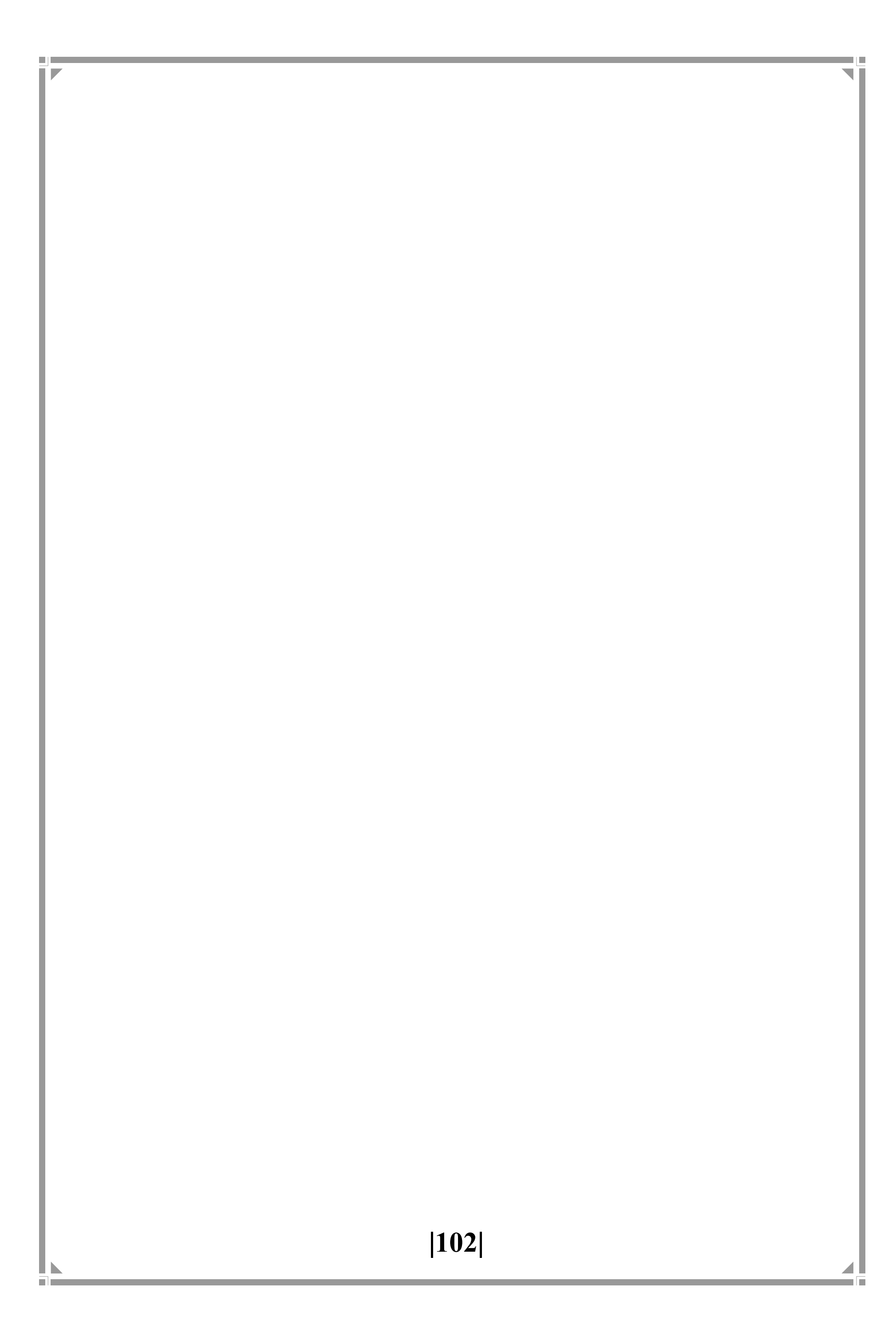
أيُّ عار يمكن أن نكون قد وصلنا إليه ونحن نحاول أن نُعلي من قدر البعض منا على حساب الآخر؟!، أيُّ عار قد يكون طالنا ونحن نعلن للعالم أن في مصر فئات تحقر بعضها بعضاً؟!، إن السيادة كانت وما زالت وستظل للشعوب التي تبنى على أكتافها الأوطان، لقد سبق وكتبت تلك الجملة في مقال سابق وسأظل أكتبها للأبد لأنها الحقيقة التي يجب أن يعيها جيداً سيادة المستشار مرتضى منصور وكل من يعتقد ما اعتقده.

وللأسف الشديد هذه النبرة في الحديث التي تحمل في دهاليزها الغرور والتعالي، أصبحنا نتعرض لها كثيراً الآن، وكأن لا رادع لمن يحاول التطاول على الشعب، وكأن هذا الشعب الواعي المثقف الجاد الثوري الذي أشعل فتيل ثورتين في أقل من ثلاثة أعوام، أصبح «ملطشة» ومستهاناً ومستباحاً من الجميع، إن الريش الحقيقي فوق رأس الشعب المصري، إن الريش الحقيقي يزين رؤوس الأحرار المصريين الذين لم تدنسهم السياسة، ولم تقض على براءتهم الانتماءات الحزبية، والتيارات، والجماعات، إن الريش الحقيقي للفقراء الذين حملوا عبد الناصر في قلوبهم ما يزيد على ستين عاماً. كامل الاحترام والتبجيل للقضاء المصري الشامخ والعظيم الذي كان دائماً حامياً ودرعاً لمصر وشعبها، ولكن إذا أمعنا النظر قليلاً في رسالة القاضي سنجد أنها «رفع الظلم عن الناس، ورد الحق لأصحابه»، ومن يحمل على كاهله تلك الرسالة يجب أن يحمل في داخله التواضع، لا الغرور، لقد قال قديماً الشاعر أبو العلاء المعري: أُسَر إن كنت محموداً على خُلقٍ ولا أسَرُّ بأني الملك محمود ما يصنع الرأس بالتيجان يعقدها، وإنما هو بعد الموت جلمود. عبر الشاعر عن المعنى والمضمون الذي يجب أن نحمله جميعاً في داخلنا وفي طريقتنا التعبيرية، ليس من العيب أن نعترف جميعاً نحن أصحاب المهن والحرف بأننا نعمل جميعاً في إطار الخدمات المتبادلة، كما تعترف المجتمعات الغربية بذلك فلا تفرق بين قاض وعامل نظافة، وإذا عدنا إلى السنة النبوية؛ سنجد فيها خير دليل على مقصدي حين قال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم: «لا فرق بين عربي ولا

أعجمي إلا بالتقوى». وأعتقد أن عملية تضخيم الذات وعدم وقوفها عند حدود يشرعها القانون ويعرفها وتطبق، هي ما وصلت بنا إلى ما نحن عليه الآن، وهي التي جعلتنا نستمع إلى تصريحات قاتلة وجارحة من وزير العدل «المقال»، رغم أن ما قاله الوزير هو الواقع الحقيقي الذي كان وما زال، وللأسف سيظل، يطبق.



رمضان كريم



المسخرة في رمضان

بكل فخر أنا من الجيل الذي تربى على صوت «علي الحجار» وموسيقى «بليغ حمدي» وسيناريوهات «أسامة أنور عكاشة» وعدسة «محمد فاضل» وشجن أداء «فردوس عبدالحميد»، أنا من الذين ذرفوا دموعاً تملأ الأنهار والبحار لفرط تأثرهم بالحزن والشجن الذي حملته مشاهد مسلسلات «ما زال النيل يجري» و«عصفور النار» و«ليلة القبض على فاطمة» و«الشهد والدموع» و«الوسية» و«الراية البيضاء» و«رأفت الهجان».

أنا من الذين تابعوا بشغف شديد جداً إعلانات «طارق نور» ومسلسلات «ليالي الحلمية» و«بابا عبده» و«أنا وانت وبابا فى المشمش» و«المال والبنون»، كل ما سبق وأكثر أعمال درامية ترسخ بالوجدان القيم، وتحفز جيلاً كاملاً على الإبداع، ولا يمكن أن أنسى أو أتناسى أنني انجذبت للعمل الصحفي من فرط تعلقي بشخصية الصحفي الشجاع التي قدمها «عبد العزيز مخيون» في مسلسل «أنا وانت وبابا في المشمش»، وأيضا دور الصحفية على الجبهة التي جسدتها بأدائها المتفرد المبدعة وكوكب السينما المصرية ماجدة الصباحي في فيلمها الخالد «العمر لحظة».

وللعلم فقط أنا لست عجوزاً، فعمري لم يصل بعد للعقد الثالث، ولكني من هؤلاء المفتونين دائماً بالشاشة الصغيرة ومبدعها «فهمي عبد الحميد» الذي سحرني بأعماله وجعلني أحلم دائماً بأبطاله، ولذلك الآن يخرج السؤال الصعب: أين كل هذا مما نعيشه الآن؟! والأعمال سابقة الذكر وأسماء مبدعيها الكبار وآخرون ارتبطوا جميعاً بشهر الصوم «رمضان الكريم»، فلذلك أكتب عنها في بداية شهر الرحمة والغفران لأتذكر وأذكر من كانوا يعيشون معي في نشوة نفس الترنيمة الجميلة، مع الفارق الكبير بين ما كان وما يحدث الآن من مسخرة حقيقية في شهر رمضان.

حقيقة أجد المقارنة غير ممكنة على الإطلاق بين ما شاهدت وذكرت أعلاه، وبين ما يقدم الآن من أعمال درامية «تبطل الصيام» وتنجس الروح والجسد، وما يشاهده جيل كامل أصبح للأسف الشديد في ظل غياب الدولة المتمثلة في «رئيسها شخصياً» و«حكومتها كاملة» جيل يترعرع على موجة «أديك في الأرض تفحر وأديك في السقف تمحر»، جيل بالإكراه يتنفس البغاء اللغوي والمرئي في كل ما يحيط به، وبالتكرار يستحسنه حتى يمتزج به. بالفعل ترسيخ القيم يحتاج منا جميعاً إلى وقفة حقيقية، وأيضاً تحول مسار مستقبل أبنائنا وأحفادنا الذي يسيرهم لطريق بلا عودة يحتاج من الجميع إلى التكاتف والصمود لمواجهة البجاحة والعري والابتذال، لأن «القوة الناعمة» الآن أصبحت في الشارع، والسبب أن كل صاحب مفاهيم شاذة ينتجها ويجملها ويقدمها للمجتمع الذي يعلن اشمئزازه منها في البداية ثم يتفاعل معها ويتقبلها في النهاية.

ختاماً حزنت بشدة وأنا أشاهد النجم الكبير «أحمد عبد العزيز» يتقهقر ويترنح ويسقط من أعلى قمة تاريخه الفني، لقد تابعت باهتمام في الفترة الأخيرة خطواته المتراجعة كثيراً للخلف وهو يجسد أدواراً «صغيرة الحجم» في فيلم عرض خلال الفترة الماضية، ومسلسل يعرض حالياً على إحدى القنوات الفضائية، وأكتب ذلك لأن أحمد عبد العزيز بالنسبة لي بشكل شخصي حالة فنية مختلفة ولا أخفي سراً أنه كان سبب عذابي لسنوات بمسلسله «الوسية» الذي تسبب في شجني وبكائي تأثراً بتجسيد معاناة شخصية «خليل حسن خليل» من أجل تحصيل العلم، وكثيراً استخدم والدي تلك المشاهد ليحفزني على تحصيل علمي أنا أيضاً، لأنني وكما كان دائماً يؤكد والدي بالمقارنة لظروف الشخصية التي يجسدها أعيش في رخاء، بالإضافة إلى أدواره المختلفة في أعماله المتنوعة التي كانت وما زالت عاملاً قوياً أضعها أمامي لمواصلة النجاح، ولأنني لا أملك إلا الورقة والقلم، فأكتب إلى بطل أحلامي ورمز طموحاتي«أحمد عبد العزيز» لعله يقرأ، ويشعر بأنه أكبر بكثير جداً جداً من أن يقف في الخلفية التي يتقدمها بطل صنعته صدفة.

في النهاية رمضان كريم.

التعريف بالكاتب

البطاقة الشخصية :

السيد جمال الحراني، مصري الجنسية، مسلم الديانة، تخرج في كلية الاعلام جامعة القاهرة، كاتب صحفي، وباحث سياسي، وروائي، وعضو في لجنة الاعلام بالمجلس القومي للمرأة بجمهورية مصر العربية، قدم برنامجاً تلفزيونياً حمل اسم (مسافر بين الشك واليقين).

مواليد 1986 في أشمون . بالمنوفية، بدأ عمله الصحفي في عام 2008، وتم اعتقالة في 31 ديسمبر 2008 اثناء تغطيته للمظاهرات الرافضة للقصف الاسرائيلي لقطاع غزة.

الانشطة:

. عضو نقابة الصحفيين المصريين.

. عضو اتحاد كتاب مصر شعبة (الرواية).

. عضو في لجنة الاعلام بالمجلس القومي للمرأة بجمهورية مصر العربية.

. قدم برنامجاً تلفزيونياً حمل اسم (مسافر بين الشك واليقين).

. ضيف في البرامج المختلفة التي تعرض على التليفزيون المصرية والكثير من القنوات الفضائية المصرية والعربية والاجنبية.

المشاركات السياسية والدورات والتكريمات:

. شارك في مؤتمر شباب الصحوة الاسلامية الذي عقد في العاصمة الايراينة طهران في يناير 2012.

. أسس حركة (شباب حماية) في 30 يوينو 2013 التي أسهمت في إسقاط حكم الإخوان وعزل محمد مرسي.

. حصل عام 2016 على دورة اعداد الكوادر الصحفية بتقدير امتياز التي تم تنظيمها بين نقابة الصحفيين وجامعة القاهرة في مركز اعداد اعضاء هيئة تدريس الجامعة.

. تم تكريمه من المجلس القومي للمراة عام 2017 عن دورة في دعم الصورة الايجابية للمرأة المصرية في الإعلام.

. شارك في المؤتمر الوطني للشباب بالاسكندرية في يوليو 2017 الذي تم تنظيمة تحت رعاية وبتشريف السيد/ عبد الفتاح السيسي رئيس الجمهورية.

نبذة:

اهتم بصناعة الكتب والنشر في مصر والعالم العربي، تلك الكتب التي تناولت المشاكل الاجتماعية والسياسية والفكرية المهمة التي يعاني منها مجتمعنا المصري ومجتمعاتنا العربية وتقديم حلول لها، وأول من اهتم بكتابة وتوثيق مذكرات المشاهير والشخصيات العامة المثيرة للجدل بتصور مختلف في شكل قصة صحفية مسلسلة، ثم تحويلها الى كتاب، ثم برنامج وثائقي طويل، ثم مسلسل درامي، أو فيلم سينمائي، وتم ذلك في مذكرات المفكر الراحل الدكتور مصطفى محمود، التي نُشرت في (المصري اليوم)، وأصدرتها دار اكتب للنشر والتوزيع في كتاب وتم تحويلها لبرنامج وثائقي، وأخرج البرنامج المخرج

عمرو منصور، ويتم الآن تحويل الكتاب لمسلسل درامي، وكان أول من التقى برجل الأعمال المصري الراحل أحمد الريان بعد خروجه من السجن وسجل مذكراته وكتبها في فيلم سينمائي.

الصحف التي عمل بها:

- جماهير المنوفية.
- أخبار العرب الدولية.
- الحياة المصرية.
- الطريق.
- الحاضر.
- جيل الغد.
- الفجر.
- الأهرام.
- المصري اليوم.
- مجلة سبعة أيام.
- البوابة.
- الوطن.
- مؤسسة أونا (موقع مصراوي).

وتولي رئاسة بعض الأقسام في الصحف الآتية:

- المطرقة الإلكترونية (رئيس قسم الأخبار).
- الصباح (رئيس قسم الإسلام السياسي).

- البديل (كتب مقالاً يومياً).
- البوابة (رئيس قسم الرأي).
- الوطن (رئيس قسم الرأي).
- مؤسسة أونا . موقع مصراوي (رئيس قسم الرأي).

معلومات أخرى:

- عمل في بعض وكالات الأنباء، وتعامل مع بعض الوكالات الخاصة بإنتاج البرامج، سواء في الخارج أو الداخل، ومن بينها "وكالة الأهرام للإعلان".

- عمل لفترة من الوقت معد برامج بالتلفزيون المصري وبعض القنوات الفضائية الخاصة من بينها قناة دريم.

- اهتم بالتخصص في العمل الصحفي والإعلامي بملف خاص جداً وهو القصة الصحفية "المذكرات الشخصية والسيرة الذاتية" الخاصة بمشاهير الفن والسياسة والأدب والصحافة في شكلها الصحفي والأدبي (حلقات صحفية وكتاب)، والتلفزيوني (برنامج وفيلم سينمائي ومسلسل درامي).

- حقق العديد من الخبطات الصحفية والإعلامية، وكان أشهرها تسجيل وكتابة مذكرات المفكر الكبير، الذي كثيراً ما أثير الجدل حوله، الدكتور مصطفى محمود، وتم نشرها في شكل حلقات مسلسلة على صفحات جريدة (المصري اليوم) على مدار ثلاثة أشهر، وحققت تلك المذكرات نجاحاً مشتركاً بين الكاتب والجريدة في زيادة توزيعها، وقام بالتعاقد مع المصري اليوم على طبع تلك المذكرات في شكلها الأدبي (كتاب).. وتلا ذلك قيامه في نهاية عام 2010 بإعداد وتقديم مذكرات

مصطفى محمود في برنامج تلفزيوني حمل اسم (مسافر بين الشك واليقين)، كان عبارة عن ثلاثين حلقة تلفزيونية تعرض حياة المفكر الراحل وتجيب عن كل ما أثير حوله من اتهامات، وسجل حوارات تتعلق بهذا العمل مع ما يقرب من مائة وخمسين شخصية من العاملين في المجلات المختلفة (الفن والأدب والسياسة والصحافة.. إلخ)، وكان البرنامج من إنتاج وكالة الأهرام للإعلان، وتوافق مع إنتاج البرنامج أن نُشر للكاتب ما عثر عليه من بعض مقتنيات المفكر الراحل من كتاباته الأخيرة التي تتعلق بالنواحي الروحانية الدينية على صفحات جريدة (الأهرام) طوال شهر رمضان 2010.

مؤلفاته:

(<u>المذكرات والسير الذاتية</u>)

- مذكرات د. مصطفى محمود
- مذكرات د. سعد الدين إبراهيم
- مذكرات د. رفعت السعيد
- مذكرات جمال البنا
- مذكرات ماجدة الصباحي
- مذكرات الريان.. سيناريو وحوار
- مسيرة فاتن حمامة.. في الفن والحب والمخابرات
- حكاية نور الشريف.. بين الحرمان والحب والسينما والسياسة والمؤامرات
- الفيلسوف المشاغب.. مصطفى محمود

(فلسفة)

■ فلسفة الموت

(نقد)

■ بخلاء يجعلونك تضحك

■ موافي والسندريلا.. انحرافات صفوت الشريف

■ مصر واللي فيها.. من هند رستم إلى عبود الزمر

■ خريف عادل حمودة.. أستاذ صحافة كرسي في الكلوب

(اجتماعية)

■ بنات القاهرة.. قصص واقعية

(سياسية)

■ ويكيليكس.. حرب الوثائق وكشف الأنظمة العربية والعالمية

■ الجماعات الإسلامية من تاني

■ الإخوان القطبيون

■ أسرار الكهنة

■ جبل الحلال

■ الوثائق المجهولة للإخوان المسلمين

(أدب)

● مارد.. «رواية»

● خفايا القصور لحبيب جاماتي

للتواصل مع الكاتب

Harany10@yahoo.com

https: //www.facebook.com/alsyd.alhrany

الفهرس

